سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه في كتابات المستشرقين: المدرسة الكلاسيكية أنموذجًا

THE BIOGRAPHY OF KHĀLID IBN AL-WALĪD IN ORIENTALIST WRITINGS: THE CLASSICAL SCHOOL AS A CASE STUDY

فاطمة علي حمد محمد الجنيبي

Fatima Ali Hamad Mohamed Aljneibi

Corresponding Author, PhD Candidate, Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, University of Malaya

aljneibif2@gmail.com

الأستاذ الدكتور محمد رسلان بن محمد نور

Professor Dr. Mohd Roslan bin Mohd Nor

Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, University of Malaya

m_roslan@um.edu.my

الأستاذ الدكتور أحمد فيصل بن عبد الحميد

Assoc. Prof. Dr. Faisal @ Ahmad Faisal Bin Abdul Hamid

Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, University of Malaya

faisal@um.edu.my

الملخص:

تتناول هذه الدراسة سيرة الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه كما قدّمتها كتابات المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية (نحو ١٧٥٠–١٩٠٠م)، متّخذةً منها أنموذجاً لتحليل الأدوات المنهجية الغربية في إعادة قراءة التاريخ الإسلامي. وتقف الدراسة عند أربعة أعلامٍ ممثّلين لهذه المدرسة، هم: إدوارد غيبون، وألويس شبرنجر، ووليم موير، ويوليوس فلهاوزن، معتمدةً المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي والتاريخي النقدي. وتركّز على أداتين منهجيتين رئيستين: «التحليل النصي» القائم على مقارنة المرويّات الإسلامية والتشكيك في مصداقية ما تضمّن منها كراماتٍ أو تأييداً إلهياً بعدّها إضافاتٍ متأخّرة، و«النقد الديني التاريخي» الذي يجرّد الحدث من بُعده الإيماني ويختزل دوافع خالد والفتوحات في منطلقاتٍ سياسيةٍ ونفعيةٍ وقبلية. وخلصت الدراسة إلى أن هؤلاء المؤرّخين، على اختلاف خلفياتهم (التنويرية والإنجيلية والاستعمارية والفيلولوجية)، قد أجمعوا على الإقرار بعبقرية خالد العسكرية وعدمِ هزيمته، لكنهم تفاوتوا في تفسير أسباب نجاحه، وأخفقوا جميعاً في إدراك البُعد الروحي والعقدي لقيادته؛ وهو قصورٌ يعكس حدود المنهج العلماني المادي في فهم الظواهر النابعة من دوافعَ إيمانية. وتوصي الدراسة بالتعامل النقدي الواعي مع هذا النتاج الاستشراقي، وببناء منهجٍ تاريخيٍّ إسلاميٍّ رصينٍ يوازن بين الحدث المادي والدافع الإيماني، لإعادة تقديم الشخصيات الإسلامية العظيمة بصورتها الحقيقية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، خالد بن الوليد، المدرسة الكلاسيكية، التحليل النصي، النقد الديني التاريخي، التدوين التاريخي الإسلامي.

Abstract:

This study examines the biography of the Companion Khālid ibn al-Walīd (may Allah be pleased with him) as presented in the writings of the classical Orientalist school (c. 1750–1900), taking that school as a case study for analyzing the Western methodological tools used to reinterpret Islamic history. Adopting an inductive, descriptive-analytical, historical, and critical approach, it focuses on four representative figures: Edward Gibbon, Aloys Sprenger, William Muir, and Julius Wellhausen. The research centers on two principal methods: textual analysis, which compares Islamic narratives and casts doubt on reports of miracles or divine support, treating them as later interpolations; and historical-religious criticism, which strips events of their faith dimension and reduces the motives of Khālid and the conquests to purely political, utilitarian, and tribal factors. The study finds that these historians—despite their differing Enlightenment, evangelical, colonial, and philological backgrounds—unanimously acknowledged Khālid's military genius and his record of remaining undefeated, yet differed in explaining the causes of his success and all failed to grasp the spiritual and doctrinal dimension of his leadership, a shortcoming that reflects the limits of the secular materialist method. The study therefore recommends engaging this Orientalist output with rigorous critical awareness and developing a sound Islamic historiographical framework that balances the empirical event with its faith-driven motivation, so as to re-present major Islamic figures accurately.

Keywords: *Orientalism; Khālid ibn al-Walīd; the classical school; textual analysis; historical-religious criticism; Islamic historiography.*

أولاً: المقدمة

شهدت حركة الاستشراق الغربي الممتدة من منتصف القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين تحولاً جذرياً في دراسة نصوص وسير التاريخ الإسلامي .حيث انطلقت مدرسة الاستشراق الكلاسيكي من بيئة التنوير الأوروبية والنهضة الفيلولوجية، محاولةً تحرير الفكر التاريخي من الطابع اللاهوتي التبشيري لتطبيق أدوات نقدية وعقلانية تجعل الظواهر الدينية خاضعة لقوانين بشرية واجتماعية مادية .وفي هذا السياق، حظيت شخصية الصحابي الجليل "خالد بن الوليد" رضي الله عنه باهتمام واسع من قبل مؤرخي هذه المدرسة، ومن أبرزهم: إدوارد غيبون (Edward Gibbon)، وألويس شبرنجر (Aloys Sprenger)، ووليام موير (William Muir)، وجوليوس فلهاوزن (Julius Wellhausen) حيث عولجت سيرته ومعاركه كأداة تفسيرية لفهم آليات تشكّل الدولة الإسلامية الناشئة وصعود الفتوحات وعلاقتها بالقوى الإقليمية المحيطة كالرومان والفرس .

يتناول البحث بالتحليل والنقد المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية التي تناولت سيرة الصحابي الجليل خالد بن الوليد –رضي الله عنه–، من خلال التركيز على منهجي "التحليل النصي" و"النقد الديني التاريخي". يظهر البحث كيف أن هذه المناهج، رغم قيمتها الأكاديمية، غالبًا ما تكون محكومة بخلفيات ثقافية وفكرية غربية (تنويرية، استعمارية، تبشيرية) تؤدي إلى قراءة مشوّهة للتاريخ الإسلامي، تُهمل البعد الإيماني، وتُعيد تفسير الفتوحات الإسلامية كتوسعات سياسية/عسكرية مجردة.

ثانيًا: مشكلة البحث

تتمثل المشكلة في وجود تباين كبير بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية لفهم شخصيات إسلامية محورية كخالد بن الوليد. فبينما تعتمد الكتابات الإسلامية على البعد الإيماني والتوفيق الإلهي كسياق أساسي، فإن المؤرخين الغربيين الكلاسيكيين (مثل جيبون، وموير، وفيلهاوزن)، وتعمد هذه المدرسة إلى تجريد السيرة التاريخية من أبعادها الروحية والتوفيق الإلهي، واختزال دوافع قادة صدر الإسلام –وعلى رأسهم خالد بن الوليد– في منطلقات سياسية، نفعية، أو قبلية مادية بحتة، بالإضافة إلى وقوع تلك القراءات في تحيزات ثقافية واستعمارية غربية تُضخم مظاهر العنف والقسوة، مما يؤدي إلى إنتاج فهم مشوه ومبتور لحقيقة الفتوحات الإسلامية وتاريخ الصحابة. وتكمن المشكلة أيضًا في صعوبة فصل المنهج العلمي عن التحيزات الثقافية والدينية في تلك الدراسات.

وتكمن مشكلة البحث في وجود تباين وانفصام منهجي واضح بين الرؤية الإسلامية المعتمدة على التوازن بين الحدث التاريخي والسياق العقدي الإيماني، وبين رؤية المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية التي تعتمد على التحليل النصي والنقد الديني التاريخي.

ثالثًا: أسئلة البحث

١) ما أبرز مناهج المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية (التحليل النصي والنقد الديني التاريخي) في دراسة سيرة خالد بن الوليد؟

٢) كيف تناول كل من إدوارد جيبون، وألويس شبرنجر، ووليام موير، ويوليوس فيلهاوزن شخصية خالد بن الوليد، وما الخلفيات الفكرية التي شكلت رؤيتهم؟
٣) كيف تطورت صورة خالد بن الوليد في الدراسات الغربية من "قائد همجي" إلى "عبقري عسكري"، وهل تحررت هذه الصورة من التحيزات الحضارية؟

رابعًا: أهداف البحث

١) تحليل ونقد مناهج كبار المستشرقين الكلاسيكيين (جيبون، شبرنجر، موير، فيلهاوزن) في دراستهم لسيرة خالد بن الوليد.
٢) استكشاف الخلفيات الفكرية والدينية والسياسية للمؤرخين الأربعة ومدى انعكاسها على كتاباتهم التاريخية .
٣) توضيح التباين بين الرؤية الغربية (المادية/النفعية) والرؤية الإسلامية (الإيمانية/الغيبية) لفهم التاريخ الإسلامي.

خامسًا: أهمية الدراسة

- تُساهم الدراسة في تقديم فهم أعمق وأكثر دقة لشخصية خالد بن الوليد من خلال نقد المناهج الاستشراقية وكشف تحيزاتها.
- تُحفز الدراسة على تطوير منهج إسلامي في قراءة السيرة النبوية وتاريخ الصحابة يوازن بين التحليل التاريخي والدافع الإيماني.
- تبرز الحاجة إلى تعزيز البحث التاريخي الإسلامي بمنهج علمي رصين يرد على المدرسة الاستشراقية الكلاسيكية. وتفكيك ونقد التحيزات المنهجية والأيديولوجية (التنويرية، الإنجيلية، والاستعمارية) التي وجهت سرديات الاستشراق الكلاسيكي.
- تساعد الدراسة في فهم جذور الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الغرب، والتي تشكلت جزئيًا عبر هذه الكتابات التاريخية. وتصحيح الصورة المشوهة عن القيادة العسكرية في صدر الإسلام، وإبراز أبعاد التوازن بين الكفاءة التكتيكية والدافع العقدي في شخصية خالد بن الوليد.

سادسًا: مصطلحات البحث

تتردّد في هذه الدراسة جملةٌ من المصطلحات المفتاحية التي يقتضي ضبطُها تحديدَ دلالتها في اللغة والاصطلاح، ثم بيانَ المقصود بها إجرائياً في سياق هذا البحث؛ وذلك على النحو الآتي:

الاستشراق: لغةً: مصدرٌ صناعي من «الشرق»، مأخوذٌ من شرَقَت الشمسُ شروقاً أي طلعت؛ والشرق يقابل الغرب[١]. "فاستخدام كلمةٍ بهذه الدلالة اسمًا لعلوم تبحث في منطقة معينة تعني اعترافا بأن العلم والمعرفة والإرشاد كان يُطلبُ من هذه المنطقة، وأن وصفها بالشرق يعني بالمقام الأوّل أنها المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة، وليس الشمس بمعناها الحسي المعروف"[٢].

اصطلاحاً: الاتجاهُ العلمي الغربي الذي يُعنى بدراسة الشرق وحضاراته ولغاته وأديانه، ولا سيّما الإسلام وتاريخه وتراثه، من منظور الباحث الغربي وخلفيّته الثقافية[٣].

إجرائياً: النِّتاجُ المعرفي للمؤرّخين الغربيين الذين تناولوا سيرة خالد بن الوليد ضمن دراستهم لصدر الإسلام وفتوحاته.

المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية: يُراد بها التيارُ التأسيسي المبكّر في الاستشراق، الممتدُّ تقريباً من منتصف القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر (نحو ١٧٥٠–١٩٠٠م)، الذي تشكَّل في بيئة التنوير الأوروبي والنهضة الفيلولوجية، واتّخذ من تحقيق النصوص ونقدها التاريخي أداةً لإخضاع الظاهرة الدينية لقوانين بشريةٍ اجتماعية. ويُمثِّلها في هذه الدراسة أربعةُ أعلام، هم: غيبون، وشبرنجر، وموير، وفلهاوزن.

خالد بن الوليد رضي الله عنه: الصحابيُّ الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ويكنى بأبي سليمان، الملقَّب بـ«سيف الله المسلول»، أحدُ كبار قادة صدر الإسلام في فتوحات العراق والشام وحروب الردّة؛ وهو موضوعُ السِّيَر التي تتولّى الدراسةُ تحليلَ القراءات الاستشراقية لها.

سابعًا: الدراسات السابقة

حظيت شخصية الصحابي الجليل خالد بن الوليد –رضي الله عنه –باهتمام متواتر من الكتاب والمؤرخين قديمًا وحديثًا؛ تناولت المؤلفات جوانب متعددة من حياة خالد بن الوليد –رضي الله عنه –تعطي في مجموعها صورة متكاملة لشخصية خالد –رضي الله عنه –ولم تخلُ الأبحاث الأكاديمية من دراسة سيرة وشخصية خالد بن الوليد –رضي الله عنه –وقد استفادت منها الباحثة في تشكيل بعض الأفكار وتكوين الخلفية الفكرية والتاريخية العامة

---

[١] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، د.ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ٢٤١/٣. ومرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح. مصطفى حجازي، ، د.ط. مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩م، ٤٩٣/٢٥. وإسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط:٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ١٥٠١/٤.

[٢] عبد الله محمد الأمين نعيم: الاستشراق في السيرة النبوية. دراسة تاريخية لآراء بروكلمان، فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط.١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن– فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٧/١٩٩٧ م، ص.١٥.

[٣] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة. ١٩٩٧م، ص١٨، وانظر: إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، وفاطمة هدى نجا، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ط.١، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣م، ص١٥، وعبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط.١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٥.

عن خالد –رضي الله عنه –غير أن الباحثة لم تقف –في حدود اطلاعها وبحثها –على دراسة تتناول منهجية كتابة سيرة خالد بن الوليد –رضي الله عنه –ومن الدراسات السابقة التي وقفت عليها الباحثة ما يأتي:

دراسة (قاسم، ٢٠٢٠)، "**شبهة قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لمالك بن نويرة وتزوجه بامرأته: عرض ونقد**"[٤].

هدفت الدراسة إلى جمع وتحليل الروايات المتعلقة بقضية مالك بن نويرة وتقييمها بأسلوب علمي لدحض الشبهة المثارة حول خالد بن الوليد رضي الله عنه، وتقويم جهود العلماء السابقين في هذا الصدد. ولتحقيق ذلك، اعتمد الباحث على منهج تحليلي نقدي متعدد الأبعاد؛ فاستخدم المنهج الاستقرائي لجمع الروايات، والمنهج النقدي الحديثي لتمحيص الأسانيد وعللها، والمنهج التحليلي للمتون لكشف الاضطرابات الداخلية، مستعيناً بالمنهجين المقارن والتاريخي لفهم سياق حروب الردة.

وخلصت الدراسة إلى بطلان وعدم صحة الروايات التي تدعي قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ظلماً أو تزوجه بامرأته في ليلتها، مؤكدة أن جميعها روايات ضعيفة أو موضوعة من اختلاق الوضاعين كالواقدي وسيف بن عمر. كما أثبتت الدراسة أن مالك بن نويرة كان مرتداً وممتنعاً عن الزكاة فكان قتله مبرراً شرعياً، وانتقدت الدراسة جهود بعض العلماء السابقين الذين حاولوا تبرير "المتن" وتوجيهه بدلاً من إبطال الرواية من أساسها، مما أعطى انطباعاً خاطئاً بوجود أصل للحادثة.

دراسة (الحلواني وسويفي، ٢٠١٨)، "**الشبهات الواردة حول الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه: جمعًا ودراسة**"[٥].

سعت الدراسة إلى حصر الشبهات المختلفة المثارة حول الصحابي خالد بن الوليد في المصادر التاريخية والعقائدية والاستشراقية، والرد عليها وفق منهج أهل السنة والجماعة لإبراز شخصيته الحقيقية وتبرئته من الافتراءات. واتبع الباحثان منهجاً علمياً متكاملاً يدمج بين الاستقراء الشامل لجمع الشبهات، والنقد التحليلي للأسانيد والمتون، والمنهج المقارن لترجيح الروايات الصحيحة، فضلاً عن المنهجين التاريخي والدفاعي لرد الأكاذيب بالأدلة النقلية والعقلية.

وخلصت الدراسة إلى أن خالد بن الوليد كان قائداً فذاً لم يُهزم في معركة، وأن الشبهات المثارة حوله باطلة وعارية من الصحة، استغلها أعداء الإسلام عبر روايات واهية لتشويه صورته. وأوصت الدراسة بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتطبيق معايير نقد الحديث على رواياته، والتحذير من المصادر المشبوهة، مع التربية على حب الصحابة ووضع مناهج علمية رصينة للتعامل مع الشبهات التاريخية والعقائدية.

---

[٤] قاسم، محمد سعد عبد المجيد. **شبهة قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لمالك بن نويرة وتزوجه بامرأته: عرض ونقد**. مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ع٣٩، الإصدار١ (٢٠٢٠): ٤٥٣ –٤٩٨.

[٥] الحلواني، محمد بن إبراهيم بن محمد، وأشرف زاهر محمد سويفي. **الشبهات الواردة حول الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه: جمعًا ودراسة**. مجلة مجمع ع٢٤ (٢٠١٨): ٣١٢ –٣٥٥.

ثامنًا: منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على تكامل منهجي يجمع بين:

المنهج الاستقرائي: لتتبّع النصوص والآراء والاقتباسات الواردة في مصنّفات المستشرقين عيّنة الدراسة حول سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمعِها، واستقراءِ ما تنطوي عليه من أحكامٍ واتجاهاتٍ عامة من خلال شواهدها واقتباساتها.

المنهج الوصفي التحليلي: لوصف مناهج هؤلاء المستشرقين وتفكيك عناصرها، وفحصِ أبعادها الفكرية والدينية والسياسية، وتحليلِ أسلوب تعاملهم النقدي مع المخطوطات والمرويّات الإسلامية، ثم تقويمِ ذلك وكشفِ خلفياته وتحيّزاته (التنويرية والإنجيلية والاستعمارية والفيلولوجية)، وتمييزِ إسهاماتهم العلمية من إسقاطاتهم الأيديولوجية.

المنهج التاريخي: لتتبّع تطوّر صورة خالد بن الوليد في كتابات المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية خلال حقبتها (نحو ١٧٥٠–١٩٠٠م)، وربطِ كلِّ قراءةٍ بسياقها التاريخي والفكري الذي أنتجها.

تاسعاً: حدود البحث

الحدود الزمنية: يركز على الفترة الكلاسيكية من الاستشراق (حوالي ١٧٥٠ – ١٩٠٠م).

الحدود الموضوعية: مناهج المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية (التحليل النصي والنقد الديني التاريخي) ويقتصر على أربعة نماذج رئيسية هم: إدوارد جيبون **(Edward Gibbon)**، ألويس شبرنجر **(Aloys Sprenger)**، وليام موير **(William Muir)**، ويوليوس فيلهاوزن**(Julius Wellhausen) .**

الحدود المنهجية: يعتمد على تحليل النصوص المنشورة لهؤلاء المؤرخين، وليس على أرشيفاتهم الشخصية أو مخطوطاتهم غير المنشورة.

عاشراً: إجراءات وأدوات البحث

لما كانت هذه الدراسة دراسةً وثائقيةً تحليليةً نقدية تقوم على معالجة النصوص المكتوبة (المطبوعة) لمؤرّخي المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية، فقد سار البحث وفق جملةٍ من الإجراءات المنظَّمة، مستعيناً بأدواتٍ بحثيةٍ تتلاءم مع المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي والتاريخي الذي تبنّاه؛ وفيما يأتي بيانُ إجراءات البحث ثم أدواته.

إجراءات البحث:

- تتبُّع وجمع النصوص التاريخية والاقتباسات والأحكام الصادرة عن مؤرخي المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية عينة الدراسة (إدوارد جيبون، ألويس شبرنجر، وليم موير، يوليوس فيلهاوزن) والمتعلقة بسيرة خالد بن الوليد.
- إخضاع هذه النصوص التاريخية الغربية للقراءة الفاحصة وتفكيكها بنيوياً، من خلال ربطها بالخلفيات الأيديولوجية (التنويرية، الاستعمارية، التبشيرية) التي شكلت وعي هؤلاء المؤرخين.

- الموازنة النقدية: مقابلة التفسيرات الاستشراقية (المادية/النفعية) بالروايات والمدونات التاريخية الإسلامية المعتمدة (الإيمانية/العقدية) لبيان أوجه الانفصام المنهجي والتحيز في الرؤية الغربية.
- استخلاص النتائج وصياغة التوصيات في ضوء ما انتهى إليه التحليل والنقد.

أدوات البحث

- أداة لجمع وفرز المادة العلمية من المصادر الاستشراقية الأصلية المترجمة والمنشورة، وتتمثّل في الأعمال الأصلية المنشورة لعيِّنة الدراسة بلغاتها التي كُتبت بها (الإنجليزية والألمانية)؛ ومنها كتاب The History of the Decline and Fall of the Roman Empire لإدوارد غيبون، و Life of Mohammad from Original Sources لألويس شبرنجر، و The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall وAnnals of the Early Caliphate لوليم موير، و *Das* arabische Reich und sein Sturz ليوليوس فلهاوزن. وقد اعتُمد عليها بوصفها مادّةَ التحليل المباشر، تفادياً للوسائط والترجمات التي قد تَحرِف المقاصد الأصلية.
- أداة تحليلية لتشريح المفاهيم والمصطلحات الموظفة في السرد الاستشراقي (مثل: التعصب الديني، التوسعات السياسية، الإضافات الأيديولوجية المتأخرة) لتفكيك أبعادها الفكرية .
- استمارة تحليل المضمون: صُمِّمت شبكةُ تحليلٍ موحَّدة طُبِّقت على كلِّ نموذجٍ من نماذج العيِّنة، تضمّنت محاور ثابتة هي: (التعريف بالمؤرّخ، وخلفيته الفكرية والدينية والسياسية، وأدواته المنهجية، وموقفه من المصادر الإسلامية، ورؤيته لخالد بن الوليد، ومواطن التحيُّز والإسقاط لديه).

الحادي عشر: هيكلة البحث

ينتظم البحث وفق الهيكلية والمخطط المقترح التالي:

مقدمة: تشمل الخلفية، المشكلة، الأسئلة، الأهداف، الأهمية، مصطلحات الدراسة، الدراسات السابقة، المنهجية، الحدود، إجراءات وأدوات البحث.

تمهيد: المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية: مفهوم التحليل النصي والنقد الديني التاريخي.

المبحث الأول: منهج إدوارد جيبون (**Edward Gibbon**) (التعريف به ومنهجه، ورؤيته لخالد).

المبحث الثاني: منهج ألويس شبرنجر (**Aloys Sprenger**) (التعريف به، ورؤيته لخالد).

المبحث الثالث: منهج وليم موير (**William Muir**) (التعريف به ومنهجه الاستعماري–التبشيري، ورؤيته لخالد مع التركيز على قصة مالك بن نويرة والعزل)

المبحث الرابع: منهج يوليوس فيلهاوزن (**Julius Wellhausen**) (التعريف به ومنهجه النقدي–التاريخي، ورؤيته لخالد كأداة للدولة والإشكالات الأخلاقية).

تمهيد المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية (التحليل النصي والنقد الديني التاريخي)

يُقصَد بالاستشراق ذلك التيار العلمي الغربي الذي انصرف إلى دراسة الشرق وحضاراته ولغاته وأديانه، وفي مقدّمتها الإسلام وتاريخه وتراثه. وقد مرّ هذا التيار بأطوارٍ متعاقبة، كان أبرزها الطور الكلاسيكي الذي تشكّل في أوروبا بين منتصف القرن الثامن عشر ونهاية القرن التاسع عشر، متأثّراً ببيئة التنوير والنهضة الفيلولوجية. وفي هذا الطور انتقل البحثُ في الإسلام من دائرة الجدل اللاهوتي التبشيري إلى محاولة إخضاع الظاهرة الدينية لمناهجَ عقلانيةٍ ونقديةٍ صارمة[٦].

ارتبط ميلادُ هذه المدرسة بصعود الفكر التنويري الذي رفض التفسيرات الغيبية للتاريخ، وبحث عن قوانينَ عقلانيةٍ تحكم حركة المجتمعات. وتزامن ذلك مع ازدهار الدرس الفيلولوجي الألماني الذي جعل تحقيق النصوص القديمة ومقارنتها مدخلاً لفهم التاريخ. ومن ثَمّ نظر المستشرقون الكلاسيكيون إلى المصادر الإسلامية بوصفها وثائقَ بشريةً قابلةً للنقد والمراجعة، لا نصوصاً مقدّسةً فوق التاريخ[٧].

ولم تكن هذه المدرسة كتلةً فكريةً واحدة، بل تعدّدت خلفياتها الفكرية والدينية والسياسية؛ فمنها التنويري الذي وظّف التاريخ الإسلامي في نقد اللاهوت الكنسي، ومنها الإنجيلي التبشيري الذي حمل أحكاماً مسبقةً على الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وسلم، ومنها الاستعماري الذي ربط المعرفة بحاجات الإدارة والهيمنة، ومنها الفيلولوجي الذي غلب عليه الطابعُ النصي التحقيقي. وقد انعكست هذه الخلفياتُ بوضوحٍ على نتائج البحث وأحكامه[٨].

ويقوم «التحليل النصي» على تفكيك الرواية التاريخية، ومقارنة طبقاتها، وتتبُّع مصادرها، وتمحيص مدى موثوقيتها بردِّها إلى سياقها الأدبي والتاريخي. وقد نقل المستشرقون هذه الأداة من حقل الدراسات الكلاسيكية واللاهوتية إلى حقل السيرة والفتوحات، فأخذوا يقارنون بين روايات الطبري والواقدي وابن إسحاق وغيرهم، ويُبرزون مواطن التناقض والتكرار. غير أن تطبيقها على المرويّات الإسلامية لم يخلُ من نزعةٍ تشكيكيةٍ تجاه ما تضمّن منها بُعداً غيبياً[٩].

---

[٦] انظر: مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د.ط. دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، د.س.ص.٤٢ وما بعدها. ومحمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٨.

[٧] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت. وانظر: *Albert Hourani, Islam in European Thought (Cambridge University Press, 1991)*

[٨] إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١. وانظر: *Maxime Rodinson, Europe and the Mystique of Islam (London, 1987).*

[9] *Aloys Sprenger, Life of Mohammad from Original Sources, 3 vols. (London, 1851–1861)* وهو من أوائل من طبّق التحليل النصي على المصادر العربية المبكّرة

ومن أبرز سمات التحليل النصي عند هذه المدرسة عدُّها الرواياتِ التي تتضمّن الكرامات أو التوفيق الإلهي إضافاتٍ متأخّرةً لا تتوافق مع المعايير العلمية المادية. فما لا يخضع للتعليل البشري المباشر كان يُردُّ أو يُؤوَّل بوصفه طبقةً أسطوريةً أُضيفت إلى النواة التاريخية. وبهذا تحوّل النقدُ النصي عندهم من أداةٍ للتحقيق إلى وسيلةٍ لتجريد الحدث الإسلامي من خصوصيته العقدية وفرادته[١٠].

أمّا «النقد الديني التاريخي» فمنهجٌ نشأ في سياق الدراسات الكتابية الأوروبية، وعُرف بـ«النقد الأعلى» (Higher Criticism)، إذ طُبِّق على نصوص العهدين القديم والجديد للكشف عن مصادرها وتواريخ تدوينها ومؤلّفيها. وقد بلغ هذا المنهجُ ذروته على يد يوليوس فلهاوزن في دراساته التوراتية قبل أن يَنقله إلى التاريخ العربي الإسلامي. وجوهرُه ردُّ النصِّ الديني إلى ظروفه البشرية والاجتماعية والسياسية، وتجريدُه من بُعده الغيبي[١١].

ومن البيئة التوراتية انتقلت أدواتُ النقد التاريخي إلى دراسة صدر الإسلام، فجرى تفكيك أخبار الفتوحات وسِيَر القادة بحثاً عن «الطبقات السردية» و«المدارس الإخبارية» التي صاغتها. وبذلك أُعيد تفسيرُ حركة الفتح وتحرّكات قادتها بوصفها دوافعَ سياسيةً ونفعيةً وقبليةً مجرّدةً من بعدها الإيماني. فصارت الدولةُ الإسلامية تُقرأ بوصفها مشروعَ قوّةٍ وتوسّعٍ لا حركةَ دعوةٍ ورسالة[١٢].

وفي هذا الإطار حظيت شخصيةُ الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه باهتمامٍ واسعٍ من مؤرّخي هذه المدرسة؛ إذ رأوا في معاركه وفتوحه أداةً تفسيريةً لفهم آليات تشكُّل الدولة الإسلامية الناشئة وصعودها في مواجهة الروم والفرس. فعولجت سيرتُه بوصفها نموذجاً للعبقرية العسكرية من جهة، وحقلاً لاختبار المنهجين النصي والتاريخي من جهةٍ أخرى. غير أن هذه المعالجة ظلّت — في الغالب — أسيرةَ التحيُّزات الحضارية والدينية التي حكمت المدرسة[١٣].

وانطلاقاً مما تقدّم، يتناول هذا البحث أربعةَ نماذجَ ممثِّلةٍ للمدرسة الكلاسيكية الاستشراقية في قراءتها لسيرة خالد بن الوليد، هم: إدوارد غيبون، وألويس شبرنجر، ووليم موير، ويوليوس فلهاوزن. وسيقف البحثُ عند منهج كلٍّ واحدٍ منهم وخلفيّته الفكرية ورؤيته لخالد، كاشفاً عن أثر أدواتَي «التحليل النصي» و«النقد الديني التاريخي» في تشكيل صورته لدى الغرب، وما شابها من تحيُّزٍ وإسقاط.

---

[١٠] ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ومصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص٢٥ وما بعدها.

[11] *Julius Wellhausen, Prolegomena zur Geschichte Israels (Berlin, 1883)*, and *Rudolf Smend, "Wellhausen School," The Oxford Handbook of the Pentateuch (2021), p. 143.*

[12] *Julius Wellhausen, Das arabische Reich und sein Sturz (Berlin: Reimer, 1902), p. 25, and* Fred *M. Donner, The Early Islamic Conquests (Princeton University Press, 1981), p. 114.*

[13] *Edward Gibbon, The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. V (London, 1788).*

المبحث الأول: منهج إدوارد غيبون (١٧٣٧ –١٧٩٤م)

المطلب الأول: التعريف بـ"غيبون" ومنهجه في التأريخ.

وُلد إدوارد غيبون (Edward Gibbon) عام ١٧٣٧م في بوتني جنوب لندن، في أسرة من طبقة ميسورة تنتمي إلى الوسط التجاري والسياسي البريطاني. كان الابن الأكبر لعائلته، لكنه عانى منذ طفولته من ضعف الصحة وكثرة الأمراض، الأمر الذي جعل سنواته الأولى مشوبة بالعزلة والانكفاء على الكتب. وقد ساعده ذلك على تطوير نزعة مبكرة نحو القراءة في التاريخ والأدب الكلاسيكي والجدالات الدينية.[١٤] هذه الظروف الأولى كان لها أثر عميق في شخصيته؛ فقد انصرف إلى الفكر بدل الانخراط في نشاطات بدنية أو اجتماعية، وهو ما انعكس لاحقًا على أسلوبه المتأمل والنقدي في الكتابة التاريخية.

التحق غيبون بجامعة أكسفورد في سن السادسة عشرة، لكنه لم يجد فيها ما يُشبع تطلعاته الفكرية. كان التعليم في أوكسفورد آنذاك محكومًا بطابع تقليدي صارم يركز على اللاهوت البروتستانتي والآداب الكلاسيكية دون انفتاح على الفكر الجديد، فشعر بخيبة أمل كبيرة. وفي هذه الفترة انجذب إلى الكاثوليكية واعتنقها لفترة قصيرة، مما أحدث أزمة داخل أسرته البروتستانتية. وقد أدت هذه الخطوة إلى إرساله إلى لوزان بسويسرا، حيث عاش بين ١٧٥٣ –١٧٥٨ تحت رعاية أحد اللاهوتيين البروتستانت، وهناك تعرّف إلى أجواء الفكر الإصلاحي في الكالفينية، فعاد إلى البروتستانتية لكن بنزعة عقلانية واضحة.[١٥] تجربة التحول بين المذاهب والاحتكاك بالجدالات الدينية الأوروبية أورثته حسًا نقديًا تجاه الدين كمؤسسة، وهو ما تجلى لاحقًا في كتاباته التاريخية.

يُعد القرن الثامن عشر، الذي عاش فيه غيبون، قرن التنوير الأوروبي بامتياز. كان الفكر التنويري يتميز برفض التفسيرات الغيبية الصرفة للتاريخ والبحث عن قوانين عقلانية تحكم حياة البشر والمجتمعات. تأثر غيبون بشكل خاص بالفلاسفة الفرنسيين مثل فولتير ومونتسكيو. وجد عند فولتير نزعة ساخرة تجاه الدين ورغبة في تفسير التاريخ ضمن إطار التقدم الإنساني،[١٦] بينما وجد عند مونتسكيو تحليلاً عميقًا للعلاقة بين القوانين والأنظمة السياسية وظروف البيئة الجغرافية.[١٧] هذه المؤثرات دفعته إلى النظر للتاريخ الروماني، بل للتاريخ البشري عامة، باعتباره سلسلة من الظواهر التي يمكن فهمها وتحليلها ضمن قوانين عامة.

كان السياق السياسي والثقافي البريطاني بدوره حاضرًا في تكوينه. فقد كُتبت أعماله الكبرى في زمن صعود الإمبراطورية البريطانية بعد انتصارها على فرنسا في حرب السنوات السبع (١٧٥٦ –١٧٦٣). كانت بريطانيا تتوسع تجاريًا وعسكريًا، وفي الوقت ذاته كان هناك قلق داخلي من مصير الإمبراطوريات؛ إذ لم يكن سقوط روما بعيدًا عن أذهان المثقفين الذين رأوا فيه مرآة لاحتمالات مستقبلية. بهذا المعنى، لم يكن غيبون

(14) Patricia Craddock, Young Edward Gibbon: *Gentleman of Letters* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1982), p. 21.
(15) Simon Swain, Edward Gibbon: Historian of the Roman Empire (Cambridge: Cambridge University Press, 2019), pp. 33–35.
(16) Peter Gay, The Enlightenment: An Interpretation, Vol. 2 (New York: Knopf, 1969), pp. 101–105.
(17) Montesquieu, The Spirit of the Laws, trans. Anne M. Cohler et al. (Cambridge: Cambridge University Press, 1989), Book XIV.

يكتب عن الماضي فقط، بل كان ينذر معاصريه بأن مصير الإمبراطوريات الحديثة قد لا يختلف عن مصير الإمبراطورية الرومانية [١٨].

أبرز أعمال غيبون هو موسوعته الضخمة The History of the Decline and Fall of the Roman Empire، التي نُشرت في ستة مجلدات بين ١٧٧٦ و١٧٨٨ [١٩] .

لم يكن هذا العمل مجرد سرد تاريخي، بل مشروعًا فكريًا شاملاً حاول فيه أن يُفسر أسباب صعود الإمبراطورية الرومانية وانهيارها التدريجي. كان هدفه المعلن دراسة العوامل الداخلية، مثل الترف والانحلال الأخلاقي وضعف الروح العسكرية، إلى جانب العوامل الخارجية المتمثلة في غزو القبائل الجرمانية، وصعود الإسلام، والضغط المستمر على حدود الإمبراطورية. هذه الرؤية الشاملة ميّزت عمله عن المؤرخين السابقين الذين اكتفوا غالبًا بالحوليات أو بسرد الأحداث دون محاولة لتوليد قوانين عامة من ورائها.

طريقة غيبون في التعامل مع المصادر كانت ثورية بمعايير عصره. فقد كان يتقن اللاتينية والفرنسية، ويقرأ بسهولة في النصوص الكلاسيكية واللاهوتية. اعتمد بشكل أساسي على كتابات بروكوبيوس، وأميانوس مارسيليانوس، وزوسيموس، بالإضافة إلى كتابات المؤرخين المسيحيين الأوائل مثل يوسابيوس. لكنه لم يكن مجرد ناقل لهذه الروايات، بل تعامل معها بروح نقدية واضحة. على سبيل المثال، عندما واجه روايات متناقضة حول واقعة معينة، كان يذكرها جميعًا ثم يُقارن بينها، ويُبرز التناقضات، ويُقدم ترجيحه الخاص بناءً على المعقولية والمنطق [٢٠].

من سمات عمله استخدامه المكثف للحواشي السفلية، التي لم تكن مجرد إحالات مرجعية، بل نصوص قائمة بذاتها. في هذه الحواشي يناقش غيبون المصادر، يذكر المراجع الكلاسيكية، يقارن بين الروايات، وأحيانًا يطلق تعليقات ساخرة على الشخصيات أو المؤسسات. وقد قال بعض النقاد إن القارئ يمكن أن يجد في الحواشي قدرًا من المتعة والفائدة لا يقل عما في المتن نفسه [٢١]. هذه الطريقة جعلت عمله يجمع بين الطابع الموسوعي والتحليل النقدي، ما أسس لنمط جديد من الكتابة التاريخية.

خلفيته الفكرية والدينية كانت دائمًا موضع نقاش. فمع أنه لم يعلن إلحادًا صريحًا، إلا أن موقفه من الدين اتسم بالنقد الجذري. في الجزء الخامس عشر من عمله الشهير، يذهب إلى أن انتشار المسيحية أسهم في إضعاف الإمبراطورية الرومانية بتحويل اهتمام المواطنين من الشأن العام والواجب العسكري إلى الاهتمام بالعبادة والرهبنة.[٢٢] هذه الفكرة أثارت جدلًا واسعًا في زمانه، حتى وُصف كتابه بأنه "إعلان حرب على المسيحية". وقد اضطر غيبون للدفاع عن نفسه في كتيبات لاحقة، مؤكدًا أنه لم يقصد الطعن في جوهر الدين، بل أراد أن

(18) J. B. Bury, "Introduction," in Edward Gibbon, The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol. I (London: Methuen, 1906), p. xvi.
(19) Edward Gibbon, The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 6 vols. (London: 1776–1788).
(20) Womersley, David, The Transformation of The Decline and Fall of the Roman Empire (Cambridge: Cambridge University Press, 1988), p. 54.
(21) John Pocock, Barbarism and Religion, Vol. 1 (Cambridge: Cambridge University Press, 1999), p. 77.
(22) Gibbon, Decline and Fall, Vol. I, ch. 15, p. 579.

يُبرز دوره التاريخي الموضوعي. مع ذلك، فإن نزوعه إلى تفسير الظواهر الدينية باعتبارها عوامل بشرية واجتماعية لا غيبية وضعه في مواجهة رجال الكنيسة.

أسلوبه الأدبي جزء لا يتجزأ من منهجه. فهو لم يكتب بلغة أكاديمية جافة، بل بلغة أدبية راقية اتسمت بالجزالة والسخرية الهادئة. كان يسعى إلى أن يكون كتابه ممتعًا بقدر ما هو مفيد، ولذلك حظي بانتشار واسع بين القراء من مختلف الطبقات. وقد اعتبره بعض معاصريه مثل صمويل جونسون مثالًا على الجمع بين الأدب والفكر التاريخي. هذا الأسلوب ساعده في الوصول إلى جمهور أوسع، لكنه عرّضه أيضًا لنقد من الأكاديميين الذين فضّلوا الكتابة التحليلية البحتة.

تتجلى توجهاته العامة في ثلاثة محاور رئيسة: أولًا: النظر للتاريخ كحركة تخضع لقوانين عامة، لا كسلسلة أحداث معزولة. ثانيًا: التأكيد على العوامل البشرية والاجتماعية والاقتصادية في تفسير صعود الدول وسقوطها، بدل ردها إلى القدر أو العناية الإلهية وحدها. وثالثًا: المقارنة الضمنية بين الماضي والحاضر، إذ يتضح من نصوصه أنه كان يلمّح باستمرار إلى أن مصير بريطانيا أو فرنسا قد لا يكون مختلفًا عن مصير روما إذا وقعت في الأخطاء نفسها [٢٣].

هذه المحاور جعلته واحدًا من أوائل الذين صاغوا ما يمكن أن يُسمى "فلسفة التاريخ" بالمعنى الحديث، لقد ترك غيبون أثرًا واسعًا في المؤرخين اللاحقين. فقد اعتمد كثيرون على عمله كمصدر أساسي لدراسة أواخر الإمبراطورية الرومانية وبدايات الفتح الإسلامي، حتى وإن اختلفوا معه في استنتاجاته.

منهجيته النقدية ألهمت مؤرخين مثل توماس كارلايل وجورج غروت، كما وجد صداه في الدراسات الحديثة التي سعت إلى الجمع بين التاريخ والسوسيولوجيا.

أما فيما يخص العالم الإسلامي، فقد كان لعرضه لفتوحات العرب أثر كبير في تكوين التصورات الأوروبية الأولى عن الإسلام، وهو ما سيُصبح موضوعًا مفصلاً في المطالبة الثانية عند دراسة رؤيته لخالد بن الوليد رضي الله عنه.

المطلب الثاني: منهج "غيبون" في تناول سيرة خالد بن الوليد.

تناول إدوارد غيبون في The History of the Decline and Fall of the Roman Empire شخصية خالد بن الوليد في سياق عرضه لفتوحات المسلمين بالشام والعراق. وقد خصّه بعدة أوصاف وأحكام تُبرز إعجابه بشجاعته وعبقريته العسكرية، لكنها في الوقت ذاته تكشف عن تحيزات منهجية مرتبطة ببيئته التنويرية الأوروبية. أحد أبرز النصوص التي أوردها غيبون قوله:

"In the first wars against the infidels of Mecca, Khaled had acquired the name of the Sword of God; his military character was tinctured with the enthusiasm of religion, and his victories were ascribed to the favour of Heaven".[24]

[23] Swain, Edward Gibbon: Historian of the Roman Empire, p. 142.
[24] Vol. V, p. 312

أي: "في الحروب الأولى ضد كفار مكة، اكتسب خالد لقب سيف الله؛ وقد امتزجت شخصيته العسكرية بحماسة الدين، ونُسبت انتصاراته إلى تأييد السماء".

هذا الاقتباس يُظهر أن غيبون كان ينظر إلى تجربة خالد باعتبارها خليطًا من الحماسة الدينية والمهارة العسكرية، مع ميل واضح إلى تفسير الانتصارات الإسلامية في إطار "التعصب الديني" أكثر من كونها نتاج تخطيط واعٍ.

ومع ذلك لم يُنكر قيمة الرجل، بل أكّد في موضع آخر:

"The genius of Khaled was worthy of command; and if his ambition had been purified by the maxims of philosophy, he might have deserved a place among the first of Roman or Barbarian heroes".[25]

"إن عبقرية خالد كانت جديرة بالقيادة؛ ولو أن طموحه صُفّي بمبادئ الفلسفة لَاستحق أن يكون في مصافّ أعظم أبطال الرومان أو البرابرة". في هذا النص يقدّم غيبون مقارنة صريحة بين خالد وقادة أوروبا القديمة كالرومان والجرمان. لكنه يضع شرطًا لاعتباره في صفهم: أن يتخلّص من "حماسته الدينية" ويتبنّى "الفلسفة"، أي العقلانية التي كان غيبون يراها معيارًا للتاريخ والحضارة. وهذا يعكس الخلفية التنويرية التي تضع العقلانية الأوروبية في موقع التفوق على التجارب التاريخية الأخرى.

يمكن القول إن غيبون قدّم خالدًا في صورة مزدوجة: من جهة هو قائد عبقري صاحب إنجازات عسكرية حاسمة، ومن جهة أخرى يظل أسير الحماسة الدينية التي –بحسب منظور غيبون –حالت دون أن يرتقي إلى مصافّ القادة الفلاسفة كالإسكندر أو يوليوس قيصر. هذه الثنائية تعكس ميل المؤرخين الغربيين في القرن الثامن عشر إلى النظر للإسلام من زاوية "التعصب" مقابل "العقلانية"، وهي ثنائية نقدتها لاحقًا دراسات الاستشراق الحديث.

من الناحية المنهجية، اعتمد غيبون في معلوماته على المصادر البيزنطية واللاتينية أكثر من اعتماده على الروايات العربية المبكرة، مثل الطبري أو الواقدي. لهذا نجد عنده أرقامًا مبالغًا فيها (كقوله إن قتلى أجنادين بلغوا سبعين ألفًا، وإن جيش الروم في اليرموك بلغ ١٤٠ ألفًا).[٢٦] كما أنه يُغفل أحيانًا تفاصيل مهمة مثل حادثة مالك بن نويرة التي شغلت المصادر الإسلامية، مكتفيًا بالتركيز على البعد العسكري البحت.

مع ذلك، فإن فضله الكبير يكمن في أنه أدخل خالد بن الوليد إلى السرد الأوروبي في لغة عقلانية بعيدة عن الصورة التقليدية للعرب، فقد قدّم خالدًا باعتباره قائدًا ذا عبقرية تكتيكية لا تقل شأنًا عن قادة الغرب، بل وضع له خرائط لمساراته العسكرية تعدّ الأولى من نوعها بالإنجليزية.[٢٧] وبذلك أسّس لصورة خالد في العقل الغربي باعتباره "القائد العربي العبقري" لا مجرد تابع لحركة دينية.

---

[25] Vol. V, p. 329
[26] Map III, opp. p. 320
[27] S. Huntington, Clash of Civilizations, 1996, p. 110

أصبح كتاب Decline and Fall المرجع الأول للباحثين الأوروبيين عن الفتوحات الإسلامية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ومن خلاله انتقلت صورة خالد إلى مستشرقين مثل كارل بروكلمان وغوستاف لوبون الذين كرروا وصفه بـ"العبقري العسكري". كما اقتبس ت. إ. لورانس (لورنس العرب) في كتابه Seven Pillars of Wisdom قائلاً: " Gibbon's Khaled is the only Arab general who would have understood our war in the desert" (خالد غيبون هو القائد العربي الوحيد الذي كان ليفهم حربنا في الصحراء).[٢٨] بل إن بعض الخطابات المعاصرة مثل أطروحة "صدام الحضارات" لصموئيل هنتنغتون استحضرت صورة خالد في سياق الحديث عن المواجهة التاريخية بين الإسلام والغرب.

من هنا يظهر أن تأثير غيبون لم يكن محدودًا بزمنه، بل ساهم في صياغة الوعي الغربي بخالد بن الوليد لعقود طويلة. ورغم ما في رؤيته من تحيزات وإسقاطات عقلانية أوروبية، فقد كانت خطوته حاسمة في نقل صورة خالد من الهامش الشرقي إلى صميم التاريخ العالمي.

رأى غيبون في خالد بن الوليد شخصية بارزة، منحته عبقرية عسكرية جعلته في مصاف كبار القادة عبر العصور. لكنه قيّد هذه الرؤية بمعايير التنوير الأوروبي، ففسّر نجاحاته ضمن إطار "الحماسة الدينية" وافتقر إلى قراءة معمّقة في المصادر العربية. ورغم ذلك، فقد ساهم في وضع خالد في مركز السرد التاريخي الغربي، وأثّر على من جاء بعده من مؤرخين ومستشرقين وحتى صناع السياسات. هذه الازدواجية بين الاعتراف بالعبقرية والتحفّظ عليها من زاوية أوروبية تظل سمة أساسية في رؤية غيبون، وتجعل دراسته لخالد مادة خصبة للنقد والمراجعة.

المبحث الثاني: منهج ألويس شبرنجر (١٨١٣ –١٨٩٣م)

المطلب الأول: التعريف بـ"شبرنجر" ومنهجه في التأريخ.

وُلد ألويش شبرنجر في النمسا سنة ١٨١٣م، وتلقّى تعليمه المبكر في فيينا حيث برزت ميوله اللغوية والفيلولوجية. كان جزءًا من جيل المستشرقين الأوروبيين الذين تأثروا بالنهضة الفيلولوجية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر، حيث اتجه الدرس الأكاديمي إلى تحقيق النصوص القديمة وربطها بالتحقيق التاريخي. درس اللغات الشرقية في فيينا وبرلين، وهناك تأثر بأعمال المستشرقين الكبار مثل هاينريش فليشر (Heinrich Leberecht Fleischer) الذي كان أستاذًا بارزًا للغات السامية. هذه الخلفية جعلت شبرنجر يتبنى منهجًا يقوم على تحقيق المخطوطات وتحليلها باعتبارها المدخل لفهم التاريخ الإسلامي[٢٩].

عام ١٨٤٣م أرسلته الحكومة البريطانية ليعمل في خدمة شركة الهند الشرقية، وهناك عُيِّن في كلية دلهي (Delhi College) ثم لاحقًا في الكلية الإنجليزية العربية في كلكتا. هذا الانتقال غيّر مسار حياته العلمي؛ فقد وجد نفسه في بيئة زاخرة بالمخطوطات العربية والفارسية والهندية، كما كان قريبًا من الأوساط العلمية والإدارية التي اهتمت بجمع النصوص لخدمة الإدارة الاستعمارية[٣٠].

(28) Edward Gibbon. The History of The Decline and Fall of the Roman Empire. Annals, p. 203
(29) Josef van Ess, Theologie und Gesellschaft im 2. und 3. Jahrhundert Hidschra (1987), p142
(30) Francis Robinson, Islam and Muslim History in South Asia (Oxford University Press, 2000) p251

تولى لاحقًا مهمة فهرسة المخطوطات في مكتبة ملك أوده (Catalogue of the Arabic, Persian and Hindustani Manuscripts, 1854)، وهو عملٌ يُظهر الدقة الفيلولوجية والاهتمام بالتصنيف المنهجي للنصوص.

كما أن إقامته الطويلة بالهند (حوالي عقدين) جعلته مختلفًا عن كثير من المستشرقين الأوروبيين الذين كتبوا عن الإسلام من مكاتبهم في برلين أو باريس أو لندن. فقد عاش شبرنجر بين المسلمين والهنود، وتعلّم من بيئةٍ لغتها اليومية العربية والأردية والفارسية، وهو ما انعكس على كتاباته التي حاولت أن تربط النصوص الإسلامية بسياقاتها الاجتماعية والعملية [٣١].

ومن أشهر أعمال شبرنجر كتابه Life of Mohammad from Original Sources (نُشر في أجزاء بين ١٨٥١ و١٨٦١)[٣٢] يعد هذا العمل من أوائل المحاولات الأوروبية لوضع "سيرة نبوية نقدية" تعتمد على المخطوطات العربية مباشرة. ركّز فيه على الجمع بين روايات ابن إسحاق، ابن هشام، الواقدي، الطبري، وغيرهم، محاولًا أن يفرّق بين طبقات الأخبار ويُعطي حكمًا على مدى موثوقيتها. وفي مقدمة الكتاب يصرّح بأن هدفه هو "تقديم صورة تاريخية لا لاهوتية" للنبي محمد ﷺ، مستندًا إلى المصادر الأصلية التي جمعها بنفسه من مكتبات الهند والحجاز. كما كتب أيضًا دراسات في المخطوطات والفهارس، إلى جانب مقالات متفرقة في Journal of the Royal Asiatic Society، وقد ساعدت هذه الأعمال على تعزيز مكانته كحلقة وصل بين الاستشراق الألماني التقليدي والمدرسة البريطانية –الهندية العملية[٣٣].

برز شبرنجر في فترة كان الاستشراق الأوروبي يمر بمرحلة انتقالية. القرن التاسع عشر شهد ميلاد ما يمكن أن نطلق عليه "الاستشراق العلمي"، حيث لم يعد الاهتمام منصبًا على الجدل اللاهوتي وحده، بل صار التركيز على النقد التاريخي للنصوص، والتعامل مع الإسلام باعتباره ظاهرة تاريخية قابلة للدراسة بالمنهج نفسه الذي يُدرس به المسيحية أو اليهودية القديمة. لكن مع ذلك، فإن وجوده في الهند وضعه أيضًا في قلب المشروع الاستعماري البريطاني.[٣٤] فالمعرفة لم تكن مجرد جهد أكاديمي حيادي، بل كانت مرتبطة بالحاجة إلى فهم ثقافات الشعوب الخاضعة للإدارة البريطانية. وهذا ما جعل شبرنجر يجمع بين نزعة الفيلولوجي المحقق وبين نزعة الأداة الإدارية الاستعمارية. ومن هنا جاءت بعض الانتقادات اللاحقة لعمله، إذ رأت أنه لم يتحرر كليًا من سياق الهيمنة الذي كان يعمل فيه. ويمكن القول إن شبرنجر قدّم ثلاثة إسهامات منهجية أساسية:

الأولى: الاعتماد المباشر على المخطوطات الأصلية، لذلك اعتُبر كتابه عن النبي ﷺ رائدًا في "إعادة فتح ملف المصادر الأولية". والمقارنة بين الروايات، فهو لم يكتف بجمع المادة، بل قارن بين روايات متعددة لنفس

(31) Review of Sprenger's Life of Mohammad," Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. 18 (1861). P33
(32) Aloys Sprenger, Life of Mohammad from Original Sources (London, 1851–1861). P156
(33) Aloys Sprenger, opt. p159
(34) Review of Sprenger's Life of Mohammad," Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. 18 (1861) p34

الحدث، وأشار إلى مواطن التناقض أو التكرار أو الضعف. كان واعيًا أن "المرويات ليست متساوية القيمة"، ولذلك حاول أن يضع سلّمًا لموثوقية الأخبار [٣٥].

الثانية: لديه نزعة تاريخية نقدية ظاهرة، فهو كثيرًا ما يؤكد في مقدماته أن هدفه ليس الدفاع اللاهوتي ولا الهجوم العقائدي، بل "إعادة بناء صورة تاريخية" لما يمكن الوثوق به من حياة النبي وأحداث صدر الإسلام. ورغم أن هذه النزعة لم تكن خالية من تحيزات ثقافية أوروبية، إلا أنها فتحت الطريق لدراسات لاحقة أكثر صرامة[٣٦].

الثالثة: خلفيته الدينية كانت كاثوليكية –نمساوية، لكنه مع انتقاله إلى بريطانيا والهند اقترب أكثر من المزاج البروتستانتي الإنجليزي الذي يميل إلى المقارنة النقدية بين الأديان. لم يكن ملحدًا بالمعنى الحديث، لكنه مثل كثير من معاصريه رأى في الإسلام "دينًا تاريخيًا" نشأ في بيئة اجتماعية محددة، وليس وحيًا فوق التاريخ؛ ومن هنا جاءت بعض أحكامه التي قد يراها القارئ المسلم متحيزة أو اختزالية.

مع ذلك، لا يمكن إنكار أنه أسهم في وضع أسس علمية لدراسة الإسلام المبكر. فبينما كان بعض المستشرقين يكتبون بلغة هجومية، كان شبرنجر أكثر حرصًا على لغة التحقيق والتدقيق. كما أنه منح مكانة واضحة لشخصيات مثل خالد بن الوليد، عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، باعتبارهم عناصر أساسية لفهم التوسع الإسلامي بعد وفاة النبي .[٣٧]

ترك شبرنجر أثرًا بالغًا على الدراسات الأوروبية اللاحقة. استند إليه يوليوس فلهوزن (Julius Wellhausen) في تحليلاته لتاريخ الدولة العربية. كما اعتمدت عليه الأجيال الأولى من الباحثين البريطانيين في الهند. وظل كتابه Life of Mohammad مرجعًا حتى بداية القرن العشرين، قبل أن تحل محله أعمال أكثر تحديثًا مثل دراسات مونتغومري وات. وفي النقد الحديث، ينظر إلى شبرنجر على أنه "رائد مبكر" أكثر من كونه مؤرخًا دقيقًا؛[٣٨] فقد كانت أدواته محدودة مقارنة بما توفر لاحقًا، لكنه وضع إطارًا أساسيًا: أن السيرة النبوية والفتوحات يجب أن تُقرأ نقديًا عبر المخطوطات، لا عبر تقليدٍ شفوي غير محقق.

يمثل ألويش شبرنجر حلقة مفصلية في الاستشراق: جمع بين الدقة في المخطوطات، والنزعة النقدية للتاريخ، مع خلفية ثقافية أوروبية لم تخلُ من تحيزات. لكن أهميته تكمن في أنه فتح الطريق أمام إعادة قراءة السيرة النبوية وشخصيات صدر الإسلام ومنهم خالد بن الوليد –رضي الله عنه –بلغةٍ "نقدية تاريخية" ستتطور لاحقًا عند فيلهاوزن ووات وغيرهم.

المطلب الثاني: منهج "شبرنجر" في تناول سيرة خالد بن الوليد.

(35) Francis Robinson,opt. p161
(36) Aloys Sprenger, opt. p143
(37) Tilman Nagel, Mohammed: Leben und Legende (Munich, 2008), on Sprenger's early influence.
(38) Francis Robinson,

يظهر خالد في كتاب شبرنجر أساسًا من خلال سرد الأحداث الكبرى في أواخر العهد النبوي والسنوات الأولى بعده، مثل غزوة مؤتة، فتح مكة، حنين، حروب الردة، ومعارك الشام. ورغم أن شبرنجر لم يخصّص فصلًا مستقلاً لخالد، إلا أن إشاراته المتكررة تكشف عن صورة مركّبة: قائد عسكري عبقري من جهة، ورجل قبيلة يحمل آثار الصراعات الداخلية من جهة أخرى. ففي سياق حديثه عن معركة مؤتة، يكتب شبرنجر:

"Khalid ibn al -Walid, though not designated by Muhammad himself, assumed command after the fall of the leading officers, and by his military skill saved the army from annihilation"[39].

"خالد بن الوليد، رغم أنه لم يُعَيَّن مباشرة من قبل محمد ﷺ، تولّى القيادة بعد سقوط القادة الرئيسيين، وبمهارته العسكرية أنقذ الجيش من الفناء".

هذا النص يلخص رؤية شبرنجر في المؤتة: القرار لم يكن بتعيين نبوي مباشر، وإنما "مبادرة" من خالد، لكنها كانت مبادرة ناجحة أنقذت الجيش. نلمس هنا نزعة شبرنجر للتشكيك في الروايات التي تقول إن النبي ﷺ قد أقر قيادة خالد أو باركها، إذ يميل إلى تصوير الأمر كتصرف ذاتي أثبت نجاحه بالأمر الواقع. وعند الحديث عن فتح مكة، يصف شبرنجر دور خالد:

"It was Khalid who led one of the wings into Mecca, encountering resistance at some quarters, and it is related that he slew several men, though the general tenor of the conquest remained bloodless"[40].

كان خالد هو من قاد أحد جناحي الجيش عند دخول مكة، وواجه مقاومة في بعض المواضع، ويُروى أنه قتل عدة رجال، وإن كان الطابع العام للفتح قد بقي سلميًا". نلاحظ هنا أن شبرنجر يعترف بدور خالد كقائد جناح أساسي، لكنه يُدخل إشارات عن "القتل" ليوازن بين السرد الإسلامي الذي يقدّم الفتح بلا دماء تقريبًا، وبين ما يراه هو من وقائع جزئية تثبت أن العنف لم يغب تمامًا. وفي حروب الردة، يبرز خالد عند شبرنجر بوضوح أكبر. يقول:

"During the apostasy wars, Khalid was the sword of the nascent caliphate; his energy and swiftness struck terror among rebellious tribes, though accounts of his severity, such as the episode with Malik ibn Nuwayra, must be regarded as coloured by party spirit".[41]

يعني أن في حروب الردة، كان خالد هو سيف الخلافة الناشئة؛ طاقته وسرعته زرعت الرعب في القبائل المتمردة، مع أن الروايات عن شدته، مثل حادثة مالك بن نويرة، يجب أن تُعتبر ملوّنة بروح التحزّب. هنا يجمع شبرنجر بين الاعتراف بدور خالد الحاسم في إخضاع القبائل، وبين التشكيك في بعض الأخبار التي تُظهره بصورة

[39] Sprenger, Life of Mohammad, vol. II, p. 327
[40] Sprenger, Life of Mohammad, vol. II, p. 415
[41] Sprenger, Life of Mohammad, vol. III, p. 72

وحشية، مثل قتل مالك بن نويرة. فهو يميل إلى تفسير هذه الأخبار على أنها نتاج صراعات سياسية وقبلية أكثر من كونها تصويرًا موضوعيًا للحدث.

أما في الفتوحات الشامية، فيربط شبرنجر بين عبقرية خالد العسكرية وبداية نشوء الدولة العربية خارج الجزيرة:

"The campaigns of Khalid in Syria display an instinctive genius for manoeuvre; the battle of Yarmuk, in particular, must be counted among the decisive encounters in world history"[42].

يقصد أن حملات خالد في الشام تُظهر عبقرية غريزية في المناورة؛ ومعركة اليرموك، خاصة، يجب أن تُعَد من بين اللقاءات الحاسمة في تاريخ العالم". هذا الحكم من شبرنجر يعد من أقوى تقويماته لخالد، إذ يضعه في مصاف القادة الذين صنعوا لحظة تاريخية كبرى غيرت مسار القوى العالمية. ومن خلال هذه الاقتباسات، يمكن استخلاص ملامح أساسية لرؤية شبرنجر:

يبرز خالد كقائد ميداني حاسم، حيث يتكرر في نصوصه وصفه بعبارات مثل saved the army from annihilation (أنقذ الجيش من الفناء) أو the sword of the nascent caliphate (سيف الخلافة الناشئة)، وهو ما يعكس إدراكه أن خالدًا كان محورًا في بقاء الدولة الإسلامية وتوسعها. هذا يتفق مع ما ذهب إليه مؤرخون لاحقون مثل وات ونيكول، سيأتي ذكرهم على كل حال.

كما تظهر لديه نزعة نقدية تجاه الروايات الإسلامية، ففي مؤتة، يشكك في "التعيين النبوي" ويعتبر تولي خالد للقيادة مبادرة ذاتية. في بني جذيمة ومالك بن نويرة، يرى أن الأخبار عن وحشية خالد "ملوّنة بالتحزب". هنا نلحظ أثر المدرسة الفيلولوجية الألمانية في قراءة الأخبار كمادة أدبية تحمل بصمات النزاع السياسي، لا كحقائق صافية.

كما أنه كثير التركيز على الفتوحات أكثر من الجانب الشخصي، فنادرًا ما نجد في نصوص شبرنجر اهتمامًا بتحليل شخصية خالد من الداخل (دوافعه، علاقته بالصحابة،...). جلّ اهتمامه موجه إلى الوقائع العسكرية ونتائجها. وهذا يعكس السياق الفكري الذي جاء منه: دراسة النصوص التاريخية باعتبارها شهادات على أحداث سياسية وعسكرية، أكثر من كونها مصادر لتكوين صورة "شخصية" بالمعنى الحديث.[٤٣] كما أنه كثيرًا ما يقع في التحيزات السياقية، رغم محاولته للموضوعية، إلا أن شبرنجر لم يتحرر من خلفيته الأوروبية الاستعمارية.

لذلك نجد في بعض تعليقاته نبرة تُبرز "العنف" عند دخول مكة أو الردة، حتى لو حاول التخفيف من حدتها بالقول إن الأخبار "متحزبة". هذا يعكس نزعة أوروبية في القرن التاسع عشر للنظر إلى الفتوحات الإسلامية على أنها توسع بالسيف أولًا، وإن اعترف بوجود عبقرية عسكرية خلفها.

---

(42) Sprenger, Life of Mohammad, vol. III, p. 201

(43) Julius Wellhausen, Das Arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1902. P23

أهمية شبرنجر لا تكمن فقط في أحكامه على خالد، بل في منهجه الذي فتح الباب لمقاربات لاحقة. فقد تبنّى يوليوس فلهوزن في كتابه Das Arabische Reich und sein Sturz نفس الحس النقدي تجاه الروايات عن خالد، وإن كان أشد حذرًا. كما وجدنا صدى لرؤية شبرنجر في كتابات مونتغومري وات، خاصة في تشكيكه في بعض الأخبار عن مؤتة وبني جذيمة.(٤٤)

كذلك، فإن وصف شبرنجر لمعركة اليرموك بأنها "decisive in world history" أصبح لاحقًا عبارة متكررة في الأدبيات الغربية عن خالد، واستعادها مؤرخون عسكريون في القرن العشرين مثل ديفيد نيكول وريتشارد غابرييل.

باختصار فإن رؤية ألويس شبرنجر لخالد بن الوليد –رضي الله عنه –تجمع بين التقدير لعبقريته العسكرية والتشكيك النقدي في بعض الروايات الإسلامية. لم يكن منصفًا بالكامل، فقد ظل أسيرًا لثقافة أوروبية تميل إلى إبراز "العنف" في الفتوحات، لكنه مع ذلك وضع أسسًا مبكرة لقراءة خالد في إطار نقدي تاريخي، وهو ما سيؤثر بوضوح على أجيال لاحقة من المستشرقين.

المبحث الثالث: منهج وليام موير (١٨١٩ –١٩٠٥)

المطلب الأول: التعريف بـ"موير" ومنهجه في التأريخ

وُلد وليام موير في قرية ديربورن بإيست لوثيان في أسكتلندا عام ١٨١٩م لأسرة تنتمي إلى تقاليد زراعية محافظة ذات جذور إنجيلية قوية. هذا الانتماء الديني المبكر صاغ شخصيته الفكرية، إذ كان منذ نشأته قريبًا من الوسط الكنسي البروتستانتي الذي اعتبر نفسه حارسًا على "نقاء العقيدة" ومكلّفًا بمهمة التبشير في الشرق. التحق بجامعة غلاسكو عام م١٨٣٤ حيث درس اللاهوت واللغات الشرقية، وتلقّى تعليمه على يد المستشرق دونالد دنكان الذي كان من أبرز الشخصيات الأكاديمية في تدريس السنسكريتية والعربية في بريطانيا.(٤٥)

هذا التكوين العلمي جعله قادرًا على التعامل مع المصادر الإسلامية بلغتها الأصلية، وهو ما ميزه عن بعض معاصريه من المستشرقين الذين كانوا يعتمدون على الترجمات الوسيطة. ثم التحق موير عام ١٨٣٧م بخدمة شركة الهند الشرقية البريطانية، فدخل بذلك قلب الجهاز الاستعماري الذي كان يُدير شؤون شبه القارة الهندية. عمل في البداية موظفًا إداريًا صغيرًا ثم تدرج في المناصب حتى أصبح مستشارًا للحكومة البريطانية في شؤون الإسلام والمسلمين.

كانت هذه التجربة مفصلية؛ فقد فتحت أمامه المجال للاحتكاك المباشر بالمسلمين في الهند، ووضعت على عاتقه مسؤولية رسم سياسات إدارية تستند إلى فهم النصوص الإسلامية والمجتمع المسلم.(٤٦) وبعد عودته إلى لندن عام ١٨٥٦ تفرغ للبحث العلمي والنشر، فأصدر بين ١٨٥٨ و١٨٩١ أعماله الكبرى التي رسخت

(44) Julius Wellhausen, opt. p27
(45) Avril A. Powell, Scottish Orientalists and India: The Muir Brothers, Religion, Education and Empire (Woodbridge: Boydell Press, 2010). p55
(46) J. M. S. Baljon, Modern Muslim Koran Interpretation (1880–1960) (Leiden: Brill, 1961). P112

مكانته في عالم الدراسات الإسلامية، وأشهرها: The Life of Mahomet (1861)، Annals of the Early Caliphate (1883)،The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall (1891).

عاش موير في زمن شهد ذروة ما يُسمى "الاستعمار الإنجيلي"، أي التداخل بين المشروع الاستعماري البريطاني والمشروع الديني التبشيري. فقد كان تمرد الهند عام ١٨٥٧م (المعروف بالثورة الهندية الكبرى) نقطة تحول خطيرة جعلت الإدارة البريطانية تدرك أن فهم الإسلام لم يعد ترفًا فكريًا، بل ضرورة استراتيجية. إذ اعتبر المسؤولون أن الإسلام يمكن أن يكون حافزًا للتمرد أو وسيلة للتهدئة.[٤٧]

وبالتالي فإن دراسته تساعد في "حماية الإمبراطورية" أولاً، ثم في نشر الرسالة الإنجيلية ثانيًا. من هنا، فإن أعمال موير لم تكن مجرد دراسات أكاديمية باردة، بل كانت جزءًا من مشروع استعماري –تبشيري متكامل، هدفه إنتاج معرفة عن الإسلام يمكن أن تُستخدم في إدارة الشعوب المسلمة وتوجيهها.

منهجية موير في الكتابة التاريخية تستحق وقفة طويلة. فقد عُرف بدقته في التعامل مع المصادر العربية، حيث رجع إلى نصوص أساسية مثل الطبري والواقدي والبلاذري، والتي حصل عليها عبر " Bibliotheca Indica"، وهو مشروع ضخم لنشر المخطوطات الشرقية في الهند.

كما تميز بترجمة الأسانيد والنصوص ترجمة شبه حرفية، الأمر الذي أعطى أعماله طابعًا توثيقيًا قوياً، وإن كان لا يخلو من تحيزات في التفسير. ولم يقتصر اهتمامه على النصوص الكبرى، بل سعى إلى إعادة تركيب تسلسل الأحداث بشكل زمني دقيق، حتى إنه كان يُنشئ جداول يومية للمعارك ويحسب أطوار القمر ليحدد هل كانت بعض الوقائع حدثت في الليل أم النهار.

إلى جانب الدقة النصية كان لموير إسهام بارز في رسم الخرائط العسكرية. ففي عام ١٨٩١م نشر أول خريطة باللغة الإنجليزية لمسرح العمليات في بلاد الشام خلال الفتوحات الإسلامية، عُرفت باسم Syrian Campaign Map. هذه الخريطة لم تكن مجرد إضافة شكلية، بل كانت أداة تفسيرية تساعد القارئ البريطاني والأوروبي على تصور مسارات الجيوش الإسلامية وتقدير حجم إنجازاتها أو تهديداتها.[٤٨] وقد استُخدمت هذه الخرائط لاحقًا في الأكاديميات العسكرية البريطانية، ما يدل على أن عمله لم يكن بعيدًا عن الأغراض العملية للإمبراطورية.

من حيث الخلفية الفكرية والدينية، ظل موير وفيًا للروح الإنجيلية البروتستانتية التي ترى في الإسلام خصمًا لاهوتيًا وحضاريًا. وفي كتابه عن سيرة النبي يظهر بوضوح الطابع الجدلي الذي يهدف إلى إظهار نقائص الإسلام من منظور مسيحي. ومع ذلك فإن مؤلفاته التاريخية عن الخلافة –خاصة عن الخلفاء الراشدين –تحمل قدرًا أكبر من الحياد النسبي، حيث كان يوازن بين السرد النقدي والتوثيق العلمي. ومع ذلك يبقى إطار التقييم عنده محكومًا بمعايير مسيحية –أوروبية تضع "المثل الإنجيلية" في مقابل "التعصب الإسلامي".[٤٩]

(47) William Muir, The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall (Edinburgh: John Grant, 1891) pxxi
(48) William Muir, The Caliphate, Its Rise, Decline, and Fall: From Original Sources, Smith, Elder & Company, 1891.
(49) Al -Shafi'i, Mohammed Muneer'Deen & Kabir, Aliyu & Shafie, Ahmad. (2024). William Muir on Qur'anic Composition: A Critical Evaluation of his Imagination. International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences.

على المستوى الأكاديمي، يُحسب له أنه كان من أوائل من أدخل الدراسات الإسلامية إلى السياق الجامعي البريطاني، حيث تولى لاحقًا منصب مدير جامعة إدنبرة، وساهم في تكوين جيل من الباحثين في اللغات الشرقية والتاريخ الإسلامي. ومن ثم، يمكن القول إنه مثّل الجسر بين الدراسات التبشيرية الأولى والدراسات الاستشراقية الأكاديمية الأكثر صرامة في نهايات القرن التاسع عشر.[٥٠]

في توجهاته العامة، جمع موير بين ثلاث سمات رئيسية: أولها الالتزام الديني المسيحي الذي جعله يرى الإسلام في كثير من الأحيان خصمًا عقائديًا؛ ثانيها النزعة الاستعمارية العملية التي جعلت أبحاثه جزءًا من جهاز المعرفة –السلطة البريطاني في الهند؛ وثالثها المنهجية النقدية –التوثيقية التي منحته قدرًا من المصداقية العلمية، وجعلت أعماله تُستخدم كمراجع أساسية لعقود طويلة رغم ما تحمله من تحيزات.

المطلب الثاني: منهج "موير" في تناول سيرة خالد بن الوليد.

يرى موير أنّ شخصية خالد بن الوليد –رضي الله عنه –تتقدّم في سجلّ الفتح الإسلامي بوصفها "الأبرز" بعد أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما –وأنه المسؤول الأكبر –بعدهما –عن سرعة استعادة الإسلام لقوّته بعد الردّة ثم اندفاعه في فارس والشام. يقول في الفصل المخصّص لحملات الردّة:

"After Abu Bekr and ʿOmar, the most prominent figure in the early days of Islām is without doubt that of Khālid son of Al -Welīd. More to him than to any other it is due that the Faith so rapidly recovered its standing and thereafter spread with such marvellous rapidity".

الترجمة: "بعد أبي بكر وعمر، فإن الشخصية الأبرز في الأيام الأولى للإسلام هي بلا شكّ خالد بن الوليد. ويعود إليه –أكثر من أيّ شخصٍ آخر –فضلُ استعادة الدين مكانته على نحوٍ سريع، ثم انطلاقه لاحقًا بهذه السرعة المعجِبة." هذا التوصيف المبدئي يضع خالدًا في مصافّ "أعظم القادة العسكريين في العالم"، كما يضيف موير في الصفحات نفسها:

"His conduct on the battlefields which decided the fate of the Persian Empire, and of the Byzantine rule in Syria, ranks him as one of the greatest generals of the world"[51].

الترجمة: "سلوكه في ميادين القتال التي حسمت مصيرَ الإمبراطورية الفارسية والحكم البيزنطي في الشام يضعه في مصافّ أعظم قادة العالم." يشرح موير لقب "سيف الله" بوصفه نتاج "مجازر سيوفه" وجرأته التي "لا تعنى بخسائر الأرواح"، حتى إنه "تزوّج أرملة خصمه في ساحةٍ لا تزال مخضَّبة بدماء جنوده"، وهي صياغة تُظهر إعجابًا تكتيكيًا مشوبًا بانتقاد أخلاقي:

---

(50) Aliyu Kabir, Mohammed Muneer'deen Al -Shafi'i Olodo, and Ahmad Bazli bin Shafie. 2024. "The Theories and Methodologies of Orientalists in The Study of Islam: A Case of William Muir and His Application". AL -HIKMAH: INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES AND HUMAN SCIENCES 7 (3):1 -15.

(51) William Muir, The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall, 4th ed., ed. T. H. Weir (Edinburgh: John Grant, 1915), Chapter V: "Recovery of Arabia. Campaign of Khālid," انظر السطور التي تبدأ بـ) فقرات تمهيدية لوصف خالد "After Abu Bekr and ʿOmar…" و"One of the greatest generals of the world").

"From the carnage of his arms he was named The Sword of God, and so little care had he for loss of life, that he would wed the widow of his enemy on the field still sodden with his own soldiers' blood"[52] .

الترجمة: "ومن مجازر سيوفه سُمّي سيف الله، وكان من قلّة اعتنائه بخسائر الأرواح أنّه قد يتزوّج أرملةَ عدوّه فوق الميدان وهو ما يزال مبتلًّا بدماء جنوده." وحين ينتقل موير إلى معركة اليرموك يقرّر صراحةً أن النصر هناك "جعل الشامَ لأول مرة تُدعى أرضًا للمسلمين"، وينقل عبارةً منسوبة إلى خالد تفيد استقرار الشام كـ"بعيرٍ قاعد"، فيصور أثر الانتصار من زاوية سياسية –جغرافية أكثر منها بطولية سردية:

"Many of the 'Companions' lost their lives… but now Khālid could declare that 'Syria sat as quiet as a camel.' They could now for the first time call Syria their own".[53]

"لقد قُتل كثير من الصحابة... لكن خالدًا استطاع أن يعلن أن "الشام قد قعدت كالبعير". وأصبح بوسعهم لأول مرة أن يسمّوا الشامَ أرضًا لهم". ويُسهب في وصف اصطفاف الروم وأعدادهم وتحوّلات المعركة على اليرموك، مع ملاحظةٍ منهجية لافتة: يعترف بأن روايته معتمدةٌ "تقريبًا بالكامل على المصادر العربية"، لأن "السنّة البيزنطية تختفي في هذا الطوفان،" ما يعكس وعيه بمحدودية زاوية الرؤية ومصدرها.[٥٤] وهذه النقطة المنهجية ذات شأن حين نقيّم أحكامه الأخلاقية على خالد وسلوكه في وقائع الخلاف.

أشدّ مواضع النقد المباشر عند موير يبرز في "قصة مالك بن نويرة"، حيث يخصّص فصلًا في Annals of the Early Caliphate يروي فيه أن خالدًا هاجم مالكًا رغم تردّده واستعداده للصلح، ثم كانت الفاجعة وما تلاها من زواجه بامرأة مالك. يقول:

"It would have been better for him had he listened to the remonstrance… [Khālid said] 'I am commander… I will march against Mâlik ibn Noweira… "[55] .

"كان خيرًا له لو أصغى إلى الاعتراض... [وقال خالد:] "أنا الأمير... سأزحف على مالك بن نويرة..." ثم يرد التصريح:

"Mâlik ibn Noweira… is put to death -Khâlid marries his widow".[56]

"قُتل مالك بن نويرة... وتزوّج خالدٌ أرملته." من منظور موير، شكّل هذا الحادث "فضيحةً" لأن مالكًا كان "مشهورًا بالسخاء والشمم"، ويؤكد أن استدعاء خالد إلى المدينة والتحقيق معه جاء في سياق هذه القضية، ما يُلقي ظلالًا على "قسوة" خالد ويُبرز الجانب الأخلاقي في نقد المؤلف.[٥٧]

---

[52] William Muir, The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall, Opt.

[53] William Muir, The Caliphate…, Chapter XVII: "Campaign in Northern Syria. Battle of the Yarmūk (A.H. 15 / A.D. 636)" ، فقرات أثر اليرموك وتفسير عزل خالد: "now Khālid could declare that 'Syria sat as quiet as a camel'…"؛ "There is no occasion to seek for any ulterior motives… the sword to the pen; Khālid to Abu ʿObeida."

[54] William Muir, The Caliphate…, Chapter VIII: "Campaign in Chaldæa (A.H. 12 / A.D. 633)"، فقرة المنهج: "It is important… Arabian sources are practically all he has to guide him here."

[55] William Muir, Annals of the Early Caliphate from the Original Sources (London: Smith, Elder & Co., 1883), Chapter VI: "Story of Mâlik ibn Noweira," سياق قرار خالد: "It would have been better for him had he listened to the remonstrance… 'I am commander…'". (نص مشروع غوتنبرغ).

[56] "Mâlik ibn Noweira… is put to death—Khâlid marries his widow" النصية؛ وانظر أيضًا الصياغة: "He… took to wife his widow Selma."

هذه المعالجة، وإن استندت إلى الروايات العربية، تصوغها لغةٌ نقدية تمزج بين التأريخ والسجال الأخلاقي، وتُبرِز الطريقة التي يرى بها موير الفتوحات: مشروعًا سياسيًا عسكريًا حاسمًا، لكنّه يحمل آثارًا إنسانية قاسية في بعض فصوله.

أما عن عزل خالد، فيرفض موير أن يكون "الهوى الشخصي" أو "العداوة" سببًا مباشِرًا، ويرسم تفسيرًا إداريًا –مؤسساتيًا للقرار بعد اليرموك: إذ "غُلب السيفُ القلمَ"، واحتاجت الشام إلى "إدارة مدنية" أكثر من حاجتها إلى "قائدٍ ميدانيّ"، فـ"حلّ أبو عبيدة محلّ خالد". يقول نصًّا:

"There is no occasion to seek for any ulterior motives which might lead ʿOmar to replace Khālid by Abu ʿObeida. Least of all can personal dislike have influenced him. ʿOmar was too great for that… The military chief had to give place to the civil functionary; the sword to the pen; Khālid to Abu ʿObeida".[58]

الترجمة: "لا موجبَ للبحث عن دوافع خفية حملت عمر على استبدال أبي عبيدة بخالد. وأقلّ ما يُقال إنّ الكراهية الشخصية قد أثّرت، فعمر أجلُّ من ذلك... كان على القائد العسكري أن يفسح المجال للوظيفة المدنية؛ على السيف أن يسلّم للقلم؛ على خالد أن يخلّي المكان لأبي عبيدة." تُبرز هذه الصياغة ميل موير إلى تفسيرٍ "مؤسسي" للحكم الراشدي: ضبطُ المال العام، وتقديم الإدارة على البطولة بعد اكتمال الفتح. ومع أنّه يلمّح إلى أنّ خالدًا "يبدو أنه قد اغتنى على حساب الدولة"،[٥٩]

إلا أنّ منطق الاستبدال عنده يظلّ أقرب إلى المواءمة بين أطوار الحرب وأطوار الحكم، لا إلى تصفية حسابات شخصية –وبذلك يخالف اتجاهًا حديثًا نسبَ العزل إلى الغيرة أو الخشية من "عبادة الشخصية".

قوةُ طرح موير أنّه –على خلاف بعض الرحّالة والكتّاب الأوروبيين –في القرن التاسع عشر –قرأ المصادر العربية باستغراق، واعترف صراحةً بأن "مصادرنا عربية تقريبًا بالكامل" في الأحداث المبكرة، بما فيها حملات خالد. هذا الاعتراف يضبط سقف اليقين، ويجعل أحكامه –حين تتجاوز العرض إلى التوصيف الأخلاقي –معلّقةً بمنظومةٍ مصطلحية أوروبية فيكتورية ترى الحرب والقتل والسبايا بمعايير عصرها. لذلك تبدو انتقاداته لأحداثٍ مثل مالك بن نويرة متأثرةً بأفقٍ قيميّ خاصّ، مع أنّ الواقعة نفسَها محلّ خلافٍ في المصادر والقراءات الإسلامية؛ فبعض الروايات يخفّفها أو يؤوّلها على أنها "خطأ في الاجتهاد" حوسِب عليه خالد ولم يُقَرّ عليه لاحقًا.

وهنا تظهر حدود منهجه المقارن: إذ نادرًا ما يستنطق اختلاف المرويات داخليًا –سنيّةً وشيعية وتاريخية – لتمحيص درجة القطع أو الظن، بل ينتقي من المتاح ما يخدم بنية السرد.

---

[٥٧] سبق الإشارة إليه

[58] William Muir, The Caliphate…, Chapter VIII والذمّة: "the people became dhimmīs… Khālid undertook to defend them…"، وهو موضع مهم لعرض صورة موير الإدارية عن خالد.

[59] William Muir, The Caliphate…, Chapter XIII–XVII (انظر الترتيب العام للحملة في الشام، ثم فقه التحوّل الإداري بعد اليرموك، الفهارس الداخلية والربط بين الفصول).

في المقابل، تحليله الإداري لعزل خالد أدقّ وأهدأ. فربطُ العزل بانتقال الشام من أطوار الحسم العسكري إلى تثبيت الإدارة والحسبة والجباية ينسجم مع مجرى الأحداث كما تُقدّمه المصادر: بعد اليرموك واستقرار دمشق ومدن السواحل نسبيًا، كان لا بدّ من "قلم" يواصل التنظيم.[٦٠] غير أن موير يُدخل عنصر "الصرامة المالية" لعمر و"غنى خالد على حساب الدولة" من دون إقامة وزنٍ كافٍ لتعدد الروايات هنا، فتبدو الجملة تقريرية أكثر منها استدلالية. وفي الأدبيات الحديثة، ستتباين القراءات: من يردّ العزل إلى الحَوكمة ومن يرده إلى الخشية من تضخم "الكاريزما العسكرية". ميزة موير أنه لا يسقط في شخصنة القرار، لكنه لا يقدّم عرضًا نقديًا كافيًا لتنوّع الأقوال.

على مستوى تصويره لليرموك، يوازن –إلى حدٍّ ما –بين السرد القتالي ووصف المناخ الاجتماعي والسياسي: يشدد على "لين" المسلمين مع أهل الشام و"عدالة" معاملاتهم مقارنةً بـ"تعسّف الروم"، ويورد نصًا من أسقف نسطوري عن حماية العرب للمسيحيين ورجال الدين.[٦١] هذا البُعد يُخرِج خالدًا من صورة "القائد المجرّد" إلى حامل مشروع ترتيبي سياسي؛ ومع ذلك، لا يعطي موير تفاصيل كافية عن أدوار قادةٍ آخرين (أبو عبيدة، عمرو، يزيد) في توزيع الأدوار والقرارات وهو نقصٌ تبعته كثيرٌ من الكتابات الشعبية التي تصنع من خالد "كلَّ القصة" في الشام، بينما توزّعت المسؤوليات فعلًا.

غير أنّ لغة الحكم الأخلاقي لديه تميل إلى صيغٍ قطعية في قضايا خلافية، كحادثة مالك، وتلويناتٍ "حضارية" حين يضع الإسلام والغرب في معادلة قيمية واحدة؛ وإن كان أقلَّ حدّةً في "الخليفة" قياسًا بـ Life of Mahomet في أحكامه على الإسلام المبكر عمومًا.

كان موير مع ستانلي لين بول ودي غويه –لاحقًا –من أهم من صاغ "أسطورة خالد القائد الكبير" في الوعي الأوروبي، وجعل وصف one of the greatest generals of the world يتكرّر في مراجع القرن العشرين، ثم يتسلّل إلى الأعمال الموسوعية والكتابات الشعبية.

أخذ عنه مؤرخون مثل فيليب حِتي إشاداتٍ كثيرة بعبقرية خالد التكتيكية، كما شهدت الأدبيات الحديثة نقاشاتٍ حول أسباب العزل تكاد تعيد إنتاج ثنائية موير (حَوكمةٌ مدنية مقابل فرضيات الغيرة الشخصنة).[٦٢] وفي المقابل، أثّرت لغته في الحادثة الأخلاقية (مالك) على سرديات معاصرةٍ ذات نزعاتٍ جدلية، حيث تُنتزع عباراته خارج سياق اعترافه بمنبع روايته (مصادر عربية) لتُعرض كـ"حقيقةٍ" تاريخية قاطعة.

خلاصةُ رؤية موير لخالد مزدوجة: خالد عبقريّ حربٍ "أنقذ الإسلام" في لحظات مفصلية، وصانعُ تحوّلاتٍ إقليمية، ولكنه أيضًا –في عينه –قائدٌ قاسٍ عند اللزوم، لا يلتفت كثيرًا إلى الخسائر، واتُّخذت ضدّه قراراتٌ سياسية إدارية عندما انتقل طورُ الفتح إلى طور الحكم. هذه الرؤية قويةٌ في رسم المشهد العملياتي، لكنها تحتاج –في جوانبها الأخلاقية –إلى موازنةٍ داخلية بين اختلاف المرويات ومقارناتٍ أوسع مع معايير ذلك العصر.

---

(60) Kabir, Aliyu & Al -Shafi'i, Mohammed Muneer'Deen & Shafie, Ahmad & Hammed, Isiaka & Olagunju -Ibrahim, Ridwan. (2024). The Distorted Views of William Muir on Prophet Muhammad (saw)'s Character: A Critical Evaluation. Nanotechnology Perceptions. p20

(61) Abeebllahi Obalowu, Issah & Rahim, Adibah. (2023). Contextual and Critical Analysis of the Ḥadith of Khalid bin al -Walid's Troop to Bani Jadhimah. International Journal of Islamic Khazanah. 13. p1 -10

(62) Fred Mcgraw Donner. Opt. p4 -5

المبحث الرابع: منهج المؤرخ جوليوس فِلهاوزن (١٨٤٤ –١٩١٨م)

المطلب الأول: التعريف بـ"فِلهاوزن" ومنهجه في التأريخ.

وُلد جوليوس فِلهاوزن في مدينة هامِلن بألمانيا عام ١٨٤٤، في أسرة بروتستانتية محافظة. درس اللاهوت والفيلولوجيا السامية في جامعة غوتنغن، حيث تتلمذ على يد المستشرق الكبير هاينريش إيوالد (Heinrich Ewald). بدأ مسيرته الأكاديمية كعالم لاهوت بروتستانتي متأثرًا بالمنهج التاريخي –النقدي الذي كان يهيمن على الدراسات الألمانية في القرن التاسع عشر [٦٣].

غير أن اهتمامه لم يبقَ محصورًا في الدراسات الكتابية. فقد انطلق من أبحاثه في النقد الكتابي للتوراة خصوصًا عمله الشهير (Prolegomena zur Geschichte Israels,1878) ليُطبّق الأدوات نفسها على نصوص الإسلام المبكر.[٦٤] هذا الانتقال لم يكن اعتباطيًا؛ فقد كان يرى أن الإسلام، مثل اليهودية والمسيحية، ديانة تاريخية يمكن قراءتها بصرامة نقدية عبر مصادرها النصية.

ينتمي فِلهاوزن إلى ما يُعرف بـ"مدرسة التاريخ النقدي الألمانية" التي ازدهرت في القرن التاسع عشر. هذه المدرسة سعت إلى تحرير دراسة الأديان من القراءات اللاهوتية الدفاعية أو الهجومية، لتضعها في إطار البحث التاريخي النقدي.[٦٥] كان القرن التاسع عشر زمنًا مثقلًا بالتحولات: وحدة ألمانيا ١٨٧١، صعود القومية الأوروبية، النقاشات حول علاقة الدين بالتاريخ، والتوتر بين الكنيسة والعلم. في هذا المناخ، برز فِلهاوزن بوصفه ناقدًا جريئًا للتقاليد الدينية الموروثة، ساعيًا إلى إعادة قراءة النصوص في ضوء العقل التاريخي.

انتقاله إلى دراسة الإسلام جاء أيضًا متأثرًا بالبيئة السياسية الاستعمارية في أوروبا. فالإسلام كان يُرى باعتباره قوة حضارية –سياسية واجهت أوروبا منذ القرون الوسطى. لكن بالنسبة إلى فِلهاوزن، لم يكن الإسلام مجرد "خصم حضاري"، بل كان "مختبرًا تاريخيًا" يمكن من خلاله دراسة كيفية نشوء دولة أمة من رحم دين جديد. ولهذا جاءت دراسته الشهيرة (Das arabische Reich und sein Sturz (1902 لتكون تتويجًا لمشروعه في فهم العلاقة بين الدين والدولة في بدايات الإسلام [٦٦].

عمل فِلهاوزن أستاذًا للغات السامية في جامعات غوتنغن، غريسفالد، وهاله. لكن مسيرته لم تخلُ من توترات؛ فقد اضطر عام ١١٨٨٢ للاستقالة من منصب أستاذ اللاهوت في غوتنغن بسبب خلاف مع الكنيسة البروتستانتية، إذ اعتُبرت آراؤه "راديكالية" ومخالفة للتقاليد الدينية. انتقل بعدها إلى تدريس الدراسات الشرقية الخالصة، وهو ما أتاح له حرية أكبر في الغوص في التاريخ الإسلامي واللغات السامية بعيدًا عن الرقابة الكنسية[٦٧].

(63) Patricia Crone, Slaves on Horses: The Evolution of the Islamic Polity (Cambridge, 1980). P118
(64) Wellhausen, Julius. Prolegomena zur geschichte Israels. G. Reimer, 1886.
(65) The Editors of Encyclopaedia Britannica. "Julius Wellhausen". Encyclopedia Britannica, 13 May. 2025, https://www.britannica.com/biography/Julius -Wellhausen. Accessed 11 September 2025.
(66) Wellhausen, Julius. Das arabische Reich und sein Sturz. Walter de Gruyter, 2011.
(67) Halvorson, Loren. German Protestantism in Dialogue with the World. Diss. The University of Chicago, 1958.

أول ما يميز فِلهاوزن هو اعتماده الصارم على المصادر الإسلامية المبكرة، خصوصًا تاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري وأنساب الأشراف. لكنه لم يتعامل معها كحقائق جاهزة، بل كطبقات سردية تحمل آثار التحيزات السياسية والقبلية. كان يرى أن مهمة المؤرخ ليست إعادة إنتاج السرد، بل تفكيكه وإعادة تركيبه وفق معايير النقد الداخلي والخارجي. مثال ذلك أنه قرأ روايات الطبري عن الصراعات بين الأمويين والهاشميين ليس فقط كتاريخ للأحداث، بل أيضًا كشهادة على الصراع الأيديولوجي حول الشرعية السياسية. وهو ما جعله يشدد على أن "التاريخ الإسلامي المبكر" في جوهره تاريخ السياسة والسلطة، أكثر منه تاريخ عقيدة مجردة.

أيضًا استخدم فِلهاوزن أدوات الفيلولوجيا المقارنة. درس اللغة العربية في ضوء اللغات السامية الأخرى، وربط بين مفردات النصوص والبيئة الاجتماعية التي وُلدت فيها. هذا جعله يقرأ المصطلحات مثل "الفتنة" و"الجهاد" و"البيعة" في إطارها التاريخي، لا من خلال دلالاتها المتأخرة [٦٨].

واتسمت كتاباته بالنزعة التركيبية، فهو لم يكتفِ بدراسة حدث منفصل، بل حاول بناء صورة كلية عن مسار الدولة العربية منذ وفاة النبي □ حتى سقوط الدولة الأموية. في كتابه Das arabische Reich und sein Sturz يُظهر كيف أدى التوسع العسكري السريع إلى خلق دولة مترامية الأطراف، لكنها محمّلة بانقسامات قبلية وسياسية سرعان ما قادت إلى الفتنة وسقوطها.

رغم جذوره البروتستانتية، لم يكن فِلهاوزن مدافعًا لاهوتيًا، بل ناقدًا علميًا. رأى في الدين –سواء التوراة أو القرآن –ظاهرة إنسانية خاضعة للتاريخ. ولذلك نظر إلى الإسلام المبكر كحركة إصلاحية دينية نجحت في توحيد القبائل العربية وصناعة دولة. لكنه، مثل كثير من المستشرقين في عصره، ظل ينظر إلى الإسلام من زاوية "دين عملي سياسي" أكثر من كونه "دينًا روحانيًا". وهذا ما جعله يُبرز دور القادة العسكريين والإداريين (ومن بينهم خالد بن الوليد) في تكوين الدولة، أكثر من تركيزه على البعد العقدي [٦٩].

يمكن القول إن جوليوس فِلهاوزن كان من أبرز من طبّق المنهج النقدي –التاريخي على الإسلام المبكر. جمع بين الفيلولوجيا الصارمة والتحليل السياسي، ورأى في الدولة الإسلامية الأولى نموذجًا لفهم العلاقة بين الدين والسلطة. ورغم أن رؤيته لم تخلُ من تحيزات ثقافية أوروبية، إلا أنها فتحت الطريق أمام جيل كامل من الباحثين لإعادة قراءة الإسلام في ضوء التاريخ، لا في ضوء الجدل اللاهوتي. كما اعتمد عليه باحثون عرب في القرن العشرين (مثل طه حسين في بعض قراءاته) رغم تحفظاتهم على أحكامه.

المطلب الثاني: منهج "فِلهاوزن" في تناول سيرة خالد بن الوليد.

يتضح من نصوص فِلهاوزن أن خالدًا كان عنده "أداة الخلافة الناشئة" في مواجهة التهديد الأكبر (الردة) الذي واجهها بعد وفاة النبي □، يكتب:

(68) Zhai, Anna. "Said, Edward (1977) Orientalism. London: Penguin," n.d.
(69) Şahin, Kaya, Justin Stearns, and Julia Schleck. "'Orientalism Revisited: A Conversation across Disciplines," Exemplaria: Medieval, Early Modern, Theory 33, 2 (2021): p197 -208

"Khalid was the sword of Abu Bakr; without his ruthless energy the unity of Islam would scarcely have survived the storms of apostasy"[70].

الترجمة: أن خالد كان سيف أبي بكر؛ فبدون طاقته القاسية لما نجت وحدة الإسلام على الأرجح من عواصف الردة. وبهذا التعبير، يضع فِلهاوزن خالدًا في قلب المشروع السياسي العسكري لأبي بكر. ليس مجرد قائد عادي، بل هو السيف الحاسم الذي بفضله وُحّدت القبائل من جديد.

غير أن كلمة ruthless energy (الطاقة القاسية) تكشف عن نزعة تفسيرية عند فِلهاوزن: فهو يرى أن النجاح تحقق عبر العنف والصرامة، أكثر من إرجاعه إلى الشرعية الدينية أو الاقتناع العقائدي.[٧١] هذا الفهم يعكس توجهه العام في الكتاب: الدولة الإسلامية المبكرة وُلدت بفضل السيف أكثر مما وُلدت بفضل العقيدة وحدها. وخالد كان التجسيد العسكري لهذه القاعدة. بالمقارنة، نجد أن مؤرخين لاحقين مثل هيو كينيدي قدّموا صورة أكثر توازنًا؛ فهو يرى أن نجاح خالد في الردة لم يكن قائمًا فقط على البطش، بل أيضًا على قدرته على بناء شبكات تحالفات قبلية أعادت الدمج بين الأطراف والسلطة المركزية [٧٢].

إذا كان خالد عند فِلهاوزن "سيف أبي بكر" في الردة، فإنه في الشام يصبح "المهندس العسكري" للفتوحات الكبرى. في وصفه لحملاته هناك، يكتب:

"The campaigns of Khalid in Syria display an instinctive genius for manoeuvre, a flexibility that enabled the Arabs to confront far larger forces with success".[73]

الترجمة: أن حملات تُظهر خالد في الشام عبقرية غريزية في المناورة، ومرونة مكنّت العرب من مواجهة قوات أكبر عددًا منهم بنجاح. وهنا يخرج فِلهاوزن من إطار "القسوة" إلى إطار "العبقرية العسكرية". خالد لم يكن مجرد منفذ عنيف لإرادة الخليفة، بل كان صاحب رؤية ميدانية جعلت جيشًا بدويًا قليل العدد قادرًا على مقارعة الجيوش البيزنطية.

ويتابع في وصف معركة أجنادين، التي اعتبرها اختبارًا أوليًا لقوة العرب:

"At Ajnadayn, Khalid's tactical disposition turned the tide; his cavalry manoeuvres broke the Byzantine lines"[74].

[70] Julius Wellhausen, Das arabische Reich und sein Sturz (Berlin: Reimer, 1902), p. 25
[71] Smend, Rudolf. "WELLHAUSEN SCHOOL." The Oxford Handbook of the Pentateuch (2021): p143.
[72] Hugh Kennedy 2007, pp. 69–73
[73] Wellhausen, ibid., p. 46
[74] Wellhausen, ibid., p. 50

الترجمة: "في أجنادين، غيّرت الترتيبات التكتيكية لخالد مجرى المعركة؛ فقد حطمت مناورات فرسانه خطوط البيزنطيين." هذا الوصف يضع خالدًا في مصاف القادة العسكريين الذين يُبدعون في المناورة والابتكار، وليس فقط في الشجاعة المباشرة.

ذروة تقدير فِلهاوزن لخالد تتجلى في تحليله لمعركة اليرموك (٦٣٦م). يكتب:

"At Yarmuk, Khalid displayed a mastery of manoeuvre which places him among the great captains of antiquity; the victory decided not only the fate of Syria but altered the balance between East and West"[75].

الترجمة: أظهر خالد بن الوليد في معركة اليرموك براعة في المناورة تجعله في مصاف كبار القادة في العصور القديمة؛ لقد حسم النصر ليس فقط مصير الشام، بل غيّر ميزان القوى بين الشرق والغرب. هذا الحكم هو من أرفع درجات التقدير التي يمنحها فِلهاوزن لأي شخصية عسكرية في صدر الإسلام. فخالد هنا ليس مجرد "قائد ناجح"، بل هو من "كبار القادة في العصور القديمة"، أي أنه يُقارن بأمثال الإسكندر وحنبعل ويوليوس قيصر. لكن فِلهاوزن يضيف ملاحظة تكشف عن طبيعة النظام السياسي الإسلامي المبكر:

"Yet his later dismissal by ‘Umar illustrates how little personal glory was tolerated in the new community"[76].

يقول أنه ومع ذلك فإن عزله لاحقًا من قِبل عمر يوضح إلى أي مدى لم يكن المجتمع الجديد يتسامح مع المجد الشخصي." هنا يبرز فهمه العميق للبنية السياسية: خالد قد يكون عبقريًا، لكن النظام الإسلامي المبكر لم يسمح لقائد فرد أن يحتكر المجد. لقد غُلِّب مبدأ الجماعة على الفرد.

ومن أكثر المواضع التي توقف عندها فِلهاوزن طويلاً هي واقعة مالك بن نويرة. فهو يرى أنها شكّلت جرحًا في صورة خالد التاريخية:

"The execution of Malik ibn Nuwayra and the subsequent marriage with his widow cast a dark shadow on Khalid’s reputation, and it is significant that ‘Umar never forgave him for this deed"[77].

أي أن إعدام خالد لمالك بن نويرة والزواج من أرملته بعد ذلك ألقى بظلال قاتمة على سمعة خالد، ومن اللافت أن عمر لم يغفر له هذا الفعل أبدًا. يتضح هنا أن فِلهاوزن اعتمد على الرواية الأشد سلبية، معتبرًا أن خالدًا تصرف بدافع شهوة أو اندفاع شخصي، وأن ذلك أثار استياء عمر، وأن الحادثة "ظل قاتم" على سمعة

[75] Wellhausen, ibid., p. 57
[76] Wellhausen, ibid., p. 57
[77] Wellhausen, ibid., p. 28

خالد[٧٨]، لكن الأبحاث الحديثة مثل دراسة فريد دونر (The Early Islamic Conquests, 1981) تؤكد أن هذه الرواية خضعت لعمليات تضخيم وتسييس، وأن موقف أبي بكر الداعم لخالد يكشف عن قناعة القيادة المركزية بسلامة موقفه العسكري [٧٩].

وفي حين يُبرز فِلهاوزن أن خالدًا كان رجل أبي بكر بامتياز. فقد اعتمد عليه في الردة والشام، ومنحه حرية واسعة. لكنه يرى أن عمر لم يكن مطمئنًا إليه، لا بسبب كفاءته، بل بسبب "خطر المجد الشخصي" الذي قد يُهدد مبدأ الجماعة.

"The caliphate could not afford to let a general become too great; Umar's dismissal of Khalid was an act of political necessity, not a judgment on his competence"[80].

يقصد أنه لم يكن في وسع الخلافة أن تسمح لقائد عسكري أن يغدو عظيمًا أكثر من اللازم؛ كان عزل عمر لخالد ضرورة سياسية، لا حكمًا على كفاءته. بهذا التفسير، يُعطي فِلهاوزن بُعدًا سياسيًا عميقًا لقرار عمر، رافضًا أن يُفسر فقط كمسألة شخصية أو عقابية. بل يراه تعبيرًا عن طبيعة النظام السياسي الإسلامي، الذي لم يكن يسمح بتحول أي شخصية إلى مصدر بديل للشرعية.

يمكن تلخيص رؤية فِلهاوزن لخالد رضي الله عنه في ثلاث نقاط محورية:

- كان خالد أداة بقاء الدولة الإسلامية المبكرة، خصوصًا في الردة.
- كان خالد قائدًا عظيمًا في الشام، وعبقريته في اليرموك جعلته في مصاف كبار القادة في العالم القديم.
- كان خالد أيضًا شخصية إشكالية، ارتبطت بالقسوة والجدل السياسي، مما جعله عرضة للنقد والعزل.

هذه الصورة ليست خالية من التحيز، إذ تميل إلى إبراز الجانب العنيف وتجاهل الأبعاد الدينية والأخلاقية التي أبرزتها المصادر الإسلامية. لكنها كانت بداية لتقليد أكاديمي طويل ظل يتعامل مع خالد كشخصية مركزية في فهم صدر الإسلام، وتستمر تأثيراتها حتى اليوم. فقد جعل فِلهاوزن من خالد بن الوليد نموذجًا لتلاقي السياسة بالعسكر في بناء الدولة الإسلامية الأولى. جمع بين تقدير عبقريته في اليرموك، وانتقاد شدته في الردة ومالك بن نويرة، وتحليل دقيق لعلاقته بالخلفاء. ورغم ما شاب رؤيته من تحيزات أوروبية، فقد وضعت إطارًا ظل حاضرًا في النقاش الأكاديمي الغربي والعربي على حد سواء.

من خلال ما تقدم تتضح ملامح أساسية في منهج فلهاوزن في تناول سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه[٨١].

---

(78) Wellhausen 1902, p. 28
(79) Fred M. Donner, The Early Islamic Conquests (Princeton University Press, 1981). P114
(80) Wellhausen, ibid., p. 60
(81) Hugh Kennedy, The Great Arab Conquests. London: Weidenfeld & Nicolson, 2007. P67

- خالد عند فِلهاوزن قائد عبقري، لكنه لا يخلو من "ظلال قاتمة". نجاحه في الردة ارتبط عنده بالقسوة، لكن نجاحه في الشام ارتبط بالعبقرية.
- مهما كانت مكانة خالد، فإن النظام الإسلامي المبكر لم يسمح له أن يصبح بطلاً فرديًا. هذا التحليل يُظهر وعيًا ببنية الشرعية في الإسلام الأول، وهو أحد أهم إسهامات فِلهاوزن.
- تبنى فِلهاوزن –في حادثة مالك بن نويرة –الرواية الأشد انتقادًا لخالد دون تفكيك كافٍ لدوافعها. وهذا يعكس جانبًا من تحيزه الأوروبي، حيث يُفضل الروايات التي تُظهر القسوة والعنف باعتبارها أكثر "واقعية".
- لم يقبل الروايات الإسلامية كما هي، بل قرأها نقديًا، وحاول استخلاص السياقات السياسية خلفها.
- ربط بين دور خالد الفردي وبنية الدولة الإسلامية المبكرة، فلم يعزله كقائد مستقل، بل وضعه ضمن مشروع أوسع يوازن بين الدين والسلطة.
- وصفه لليرموك بأنها "غيرت ميزان القوى بين الشرق والغرب"[٨٢] شكّل إضافة لافتة، نقل خالدًا من نطاق السيرة الإسلامية إلى نطاق التاريخ العالمي.

وكان لفِلهازون أثره على الدراسات اللاحقة ففي الاستشراق الغربي تأثرت في باتريسيا كرون في Slaves on Horses (1980) بفِلهاوزن في تصويرها لبداية الدولة الإسلامية كنتاج القوة العسكرية أكثر من الدعوة الدينية.[٨٣] خالد عندها يصبح مثالًا على القادة الذين جسدوا "التوسّع بالسيف". كما أن ريتشارد غابرييل في كتابه Muhammad: Islam's First Great General (2007) تبنّى عبارة فِلهاوزن عن خالد بوصفه " among the great captains of antiquity" (من كبار القادة في العصور القديمة)،[٨٤] وبنى عليها تحليلات عسكرية مفصّلة. وكذلك هيو كينيدي الذي ورغم نقده لفِلهاوزن، استعاد منه فكرة أن عزل خالد كان قرارًا سياسيًا ضروريًا، وإن قدّم تفسيرًا أكثر تعقيدًا يتعلق بإعادة توزيع الشرعية.

كما تأثر بعض المفكرين العرب الكبار، مثل طه حسين في الفتنة الكبرى، بالمنهج النقدي لفِلهاوزن، خصوصًا في الشك في بعض الروايات حول الصحابة. لكنهم غالبًا رفضوا النزعة الأوروبية لتصوير الإسلام كدين "عملي بلا روحانية".

الخاتمة:

(82) Wellhausen 1902, p. 57
(83) Patricia Crone, Slaves on Horses: The Evolution of the Islamic Polity (Cambridge University Press, 1980). p61 -67
(84) Gabriel, Richard A. "Great captains of antiquity." (2000): 1 -264.

تناولت هذا الدراسة تطوّر منهجية المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية في دراسة سيرة الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه خلال الحقبة الممتدّة من سنة ١٧٥٠م إلى سنة ١٩٠٠م، من خلال أربعة نماذجَ ممثِّلةٍ لها، هم: إدوارد غيبون، وألويس شبرنجر، ووليم موير، ويوليوس فلهاوزن. وقد بدأ هذا المسار مع غيبون الذي أدرج خالداً ضمن سرديّة سقوط الإمبراطورية الرومانية، فلقّبه بـ«سيف الله» وأبرز عبقريته العسكرية، غير أنه ظلّ محكوماً بتحيُّزٍ حضاريٍّ تنويريٍّ جعله يقرأ انتصاراته في إطار «الحماسة الدينية» مقابل «العقلانية»، ثم جاء شبرنجر وموير فطبّقا المنهج النقدي على المصادر مع تباينٍ في الخلفية؛ فبينما غلب على شبرنجر الطابعُ الفيلولوجي القائم على تحقيق المخطوطات والمقارنة بين الروايات ووضعِ سُلَّمٍ لموثوقيتها، طغى على موير التحيُّز الديني الإنجيلي والاستعماري الذي أنتج أحكاماً أخلاقيةً قاسيةً على خالد. أمّا فلهاوزن فمثّل ذروة المنهج النقدي—التاريخي في تفكيك الروايات وتتبُّع طبقاتها وتحليل تشكُّل السرد التاريخي، ناقلاً خالداً من نطاق السيرة الإسلامية إلى نطاق التاريخ العالمي.

أولاً: النتائج

توصّلت الدراسة، بعد تحليل مناهج المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية ونقدها في تناولها سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى جملةٍ من النتائج، أبرزها ما يأتي:

- أجمعت المدرسة الكلاسيكية الاستشراقية على الإقرار بالعبقرية العسكرية والتفوّق التكتيكي لخالد بن الوليد، وعدمِ هزيمته في معاركه الفاصلة (كاليرموك وحروب الردّة)، على اختلاف خلفياتهم الفكرية والمنهجية.
- أخفقت هذه المدرسة في إدراك التلازم بين العبقرية العسكرية والبُعد العقدي والأخلاقي، فاختزلت دوافع خالد ودوافع الفتوحات في نزعاتٍ قبليةٍ ومادية ومطامعَ توسّعية، مجرِّدةً الحدث من سياقه الإيماني.
- كشفت الدراسة أن السرد التاريخي عند المستشرقين لم يكن محايداً، بل جاء انعكاساً مباشراً لخلفياتهم الفكرية والدينية والسياسية: التنويرية، والإنجيلية، والاستعمارية، والفيلولوجية.
- وظّف غيبون سيرة خالد لخدمة أجندته التنويرية المناهضة للاهوت المسيحي، فقدّمه قائداً عبقرياً غير أنه — في زعمه — أسيرُ «الحماسة الدينية» التي حالت دون بلوغه مصافَّ القادة «الفلاسفة» كالإسكندر وقيصر؛ وهي قراءةٌ محكومةٌ بثنائية «التعصُّب مقابل العقلانية».
- اعتمد غيبون على المصادر البيزنطية واللاتينية أكثر من العربية المبكّرة، فوقع في أرقامٍ مبالغٍ فيها (قتلى أجنادين، وعديد جيش الروم في اليرموك)، وأغفل تفاصيل مهمة كحادثة مالك بن نويرة. وعلى ما في رؤيته من تحيُّز، كان لغيبون فضلُ إدخال خالد إلى السرد التاريخي الأوروبي والعالمي بوصفه «القائد

العربي العبقري»، وامتدّ أثرُ صورته إلى لاحقين كبروكلمان ولوبون ولورنس العرب، بل حضرت في خطاب «صدام الحضارات» لهنتنغتون.

- ٧مثّل شبرنجر تحوّلاً نحو «الاستشراق العلمي» باعتماده المباشر على المخطوطات الأصلية، والمقارنةِ بين الروايات، ووضعِ سُلَّمٍ لموثوقيتها؛ غير أنه عمل ضمن سياق المشروع الاستعماري البريطاني في الهند، فلم يتحرّر كلياً من نزعة الهيمنة.
- قارب شبرنجر شخصية خالد من منظورٍ فيلولوجيٍّ نقدي، فمال إلى التشكيك في الروايات التي تجعل قيادته في مؤتة بإقرارٍ نبوي، مصوّراً الأمرَ «مبادرةً ذاتية» أثبتت نجاحها بالأمر الواقع.
- ٩تأثّر موير بخلفيته الإنجيلية الاستعمارية، فأطلق على خالد أحكاماً أخلاقيةً قاسيةً متحيّزة، وضخّم رواياتٍ بعينها (مالك بن نويرة، والزواج) لإسقاط صورة «القسوة والعنف».
- قدّم موير — على تحيُّزه — مساهمةً أداتيةً مهمة في الكارتوغرافيا العسكرية وتتبُّع المسارات الجغرافية لجيوش المسلمين، عدّتها الدراسةُ جانباً إيجابياً يُفاد منه.
- طبّق فلهاوزن المنهج النقدي–التاريخي على روايات الفتوحات، فصنّف المدارس الإخبارية وتتبّع الطبقات السردية، ونقل خالداً من نطاق السيرة إلى نطاق التاريخ العالمي حين وصف اليرموك بأنها غيّرت ميزان القوى بين الشرق والغرب.
- ربط فلهاوزن دورَ خالد الفردي ببنية الدولة الإسلامية المبكّرة، وفسّر عزله تفسيراً مؤسسياً/سياسياً (تحوُّل الخلافة من طور الحرب إلى طور الإدارة، ومنعِ بروز مجدٍ فرديٍّ يهدّد مبدأ الجماعة)، رافضاً مع موير التفسيرات الشخصية كالغيرة أو الكراهية.
- أثبتت الدراسة أن المنهجين الجوهريين (التحليل النصي والنقد الديني التاريخي) استُخدما لتجريد الحدث التاريخي الإسلامي من فرادته، عبر تضخيم رواياتٍ ضعيفةٍ أو شاذّةٍ وتوظيفها لترسيخ صورةٍ نمطيةٍ مشوّهة.
- رصدت الدراسة تطوّراً تدريجياً في صورة خالد لدى الغرب من «قائدٍ همجيٍّ مدمّرٍ للحضارة» إلى «عبقريٍّ عسكريٍّ في سياق تحوّلٍ حضاري»، دون أن يتحرّر معظمُ هذا الإنتاج من القصور عن إدراك البُعد الروحي والعقدي للقيادة في الإسلام؛ وهو قصورٌ يعكس حدودَ المنهج العلماني ذاته في فهم الظواهر ذات الدوافع الإيمانية.

ثانياً: التوصيات

في ضوء ما انتهت إليه الدراسة، توصي بما يأتي:

١) تبنّي منهجيةٍ متكاملةٍ تجمع بين «التحليل الأكاديمي النقدي الصارم» و«السياق العقدي والإيماني للجيل الأول»، بحيث لا يُفصَل المنجزُ العسكري لخالد عن دافعه الإيماني ورسالته الأخلاقية والقيمية التي ضبطت سلوك الفتوحات.

٢) القراءة النقدية الواعية للتراث الاستشراقي، وتدريبُ الباحثين المسلمين على الإفادة من أدواته التحليلية (كالنقد النصي والمقارن) مع تفكيك أصوله المعرفية والأيديولوجية، وبيانِ امتداد أثره في المدارس اللاحقة (التفكيكية والمراجعاتية) وفي النظرة الغربية المعاصرة للإسلام وتاريخه العسكري.

٣) إجراء دراساتٍ مقارنةٍ منهجيةٍ واضحةٍ بين المناهج الغربية والإسلامية في كتابة التاريخ لتقديم نموذجٍ بديلٍ متكامل، مع الاهتمام بالترجمة النقدية لأعمال كبار المستشرقين مصحوبةً بمقدماتٍ تحلّل خلفياتهم وأحكامهم بدل قبولها مراجعَ حيادية.

٤) وتوصي الدراسة بضرورة الاستفادة من الجوانب الإيجابية للاستشراق (كالكارتوغرافيا والتوثيق الجغرافي الذي برع فيه موير) بإنشاء أطالسَ رقميةٍ وموسوعاتٍ جغرافيةٍ موثَّقةٍ تعيد رسم مسارات جيوش صدر الإسلام، وتقدّم سيرة القادة والفتوحات بأسلوبٍ علميٍّ وبصريٍّ وبلغاتٍ عالميةٍ متعددةٍ لدحض الصور النمطية السائدة.

وتفتح هذه الخلاصةُ البابَ أمام آفاقٍ بحثيةٍ لاحقة، تتمثّل في دراسة امتداد هذه المناهج إلى الجيل المعاصر من الباحثين الغربيين – كمونتغمري وات، وموشيه غيل، وباتريشيا كرون، وهيو كينيدي، وجون جاندورا – الذين طوّروا أدواتٍ أكثر تعقيداً ومقارنةً وحياداً نسبياً؛ وهو ما يخرج عن الحدود الزمنية والموضوعية لهذا البحث، ويصلح موضوعاً لدراسةٍ مستقلّةٍ تُكمِل ما بدأه.

المصادر والمراجع

REFERENCES

Abbas, Ihsan, C. E. Bosworth, Franz Rosenthal, and Ehsan Yar-Shater. *The History of al-Ṭabarī*. Albany: State University of New York Press.

Al-Fīrūzābādī, Majd al-Dīn Muḥammad ibn Yaʿqūb. *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ*. Cairo: Al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, 1979.

Al-Hāj, Sāsī Sālim. *Naqd al-Khiṭāb al-Istishrāqī*. Beirut: Dār al-Madār al-Islāmī, n.d.

Al-Jabrī, ʿAbd al-Mutaʿāl Muḥammad. *Al-Istishrāq: Wajh li al-Istiʿmār al-Fikrī*. 1st ed. Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī, 1995

Al-Jawharī, Ismāʿīl ibn Ḥammād. *Al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah*. Edited by Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār. 4th ed. Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 1990.

Al-Sibaʿi, Mustafa. *Al-Istishrāq wa al-Mustashriqūn: Mā Lahum wa Mā ʿAlayhim*. Beirut: Dār al-Warrāq li al-Nashr wa al-Tawzīʿ and al-Maktab al-Islāmī, n.d., p. 42 ff.

Al-Sibaʿi, Mustafa. *Al-Istishrāq wa al-Mustashriqūn: Mā Lahum wa Mā ʿAlayhim*. Beirut: Dār al-Warrāq li al-Nashr wa al-Tawzīʿ and al-Maktab al-Islāmī, n.d., p. 25 ff.

Al-Zabīdī, Murtaḍā. *Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qāmūs*. Edited by Muṣṭafā Ḥijāzī. Kuwait: Maṭbaʿat Ḥukūmat al-Kuwayt, 1989.

Avni, Gideon. *The Byzantine-Islamic Transition in Palestine: An Archaeological Approach*. Oxford: Oxford University Press, 2014.

Badawī, ʿAbd al-Raḥmān. *Mawsūʿat al-Mustashriqīn*. Beirut: Dār al-ʿIlm li al-Malāyīn, n.d.

Baljon, J. M. S. *Modern Muslim Koran Interpretation (1880–1960)*. Leiden: Brill, 1961.

Benaboud, Muhammad. "Orientalism on the Revelation of the Prophet: The Cases of W. Montgomery Watt, Maxime Rodinson, and Duncan Black MacDonald." *American Journal of Islam and Society* 3, no. 2 (1986): 309–326.

Bosworth, C. E., Franz Rosenthal, and Ehsan Yar-Shater, eds. *The History of al-Ṭabarī*. Albany: State University of New York Press.

Bury, J. B. "Introduction." In *The Decline and Fall of the Roman Empire*, by Edward Gibbon. London: Methuen, 1906.

Cahen, Claude. "Review of A History of Palestine, 634–1099, by Moshe Gil." *Arabica* 40, no. 3 (1993): 385–388.

Conrad, Lawrence I. "The Dervish's Disciple: On the Personality and Intellectual Milieu of the Young Ignaz Goldziher." *Journal of the Royal Asiatic Society* 122, no. 2 (1990): 225–266.

Donner, Fred M. "The Study of Islam's Origins since W. Montgomery Watt." Conference Paper/Lecture, 2015.

Donner, Fred M. *The Early Islamic Conquests*. Princeton: Princeton University Press, 1981, p. 114.

Donner, Fred M. *The Early Islamic Conquests*. Princeton: Princeton University Press, 1981.

Gabriel, Richard A. *Great Captains of Antiquity*. Westport: Greenwood Publishing Group, 2000.

Gabriel, Richard A. *Muhammad: Islam's First Great General*. Norman: University of Oklahoma Press, 2007.

Gibbon, Edward. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. Vol. 5. London: Strahan & Cadell, 1788.

Gibbon, Edward. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. London, 1776–1788.

Gil, Moshe. *A History of Palestine, 634–1099*. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

Hacker, Barton C. "Mounted Archery and Firearms: Late Medieval Muslim Military Technology Reconsidered." *Vulcan* 3, no. 1 (2015): 42–65.

Holt, P. M., Ann K. S. Lambton, and Bernard Lewis, eds. *The Cambridge History of Islam*. Vol. 1. Cambridge: Cambridge University Press, 1970.

Hourani, Albert. *Islam in European Thought*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

Jandora, John W. "Developments in Islamic Warfare: The Early Conquests." *Studia Islamica* 64 (1986): 101–113.

Jandora, John W. "The Battle of the Yarmūk: A Reconstruction." *Journal of Asian History* 19, no. 1 (1985): 8–21.

Jandora, John W. *The March from Medina: A Revisionist Study of the Arab Conquests*. Clifton, NJ: Kingston Press, 1990.

Kaegi, Walter E. *Byzantium and the Early Islamic Conquests*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

Kennedy, Hugh. *The Armies of the Caliphs: Military and Society in the Early Islamic State*. London: Routledge, 2013.

Kennedy, Hugh. *The Great Arab Conquests*. London: Weidenfeld & Nicolson, 2007.

Kennedy, Hugh. *When Baghdad Ruled the Muslim World*. Cambridge, MA: Da Capo Press, 2005.

Little, J. J. "Patricia Crone and the 'Secular Tradition' of Early Islamic Historiography." *History Compass* 20, no. 9 (2022).

Meloy, John L. *Militarism in Arab Society: An Historiographical and Bibliographical Sourcebook*. Westport: Greenwood Press, 1997.

Montesquieu. *The Spirit of the Laws*. Cambridge: Cambridge University Press, 1989.

Muir, William. *Annals of the Early Caliphate*. London: Smith, Elder & Co., 1883.

Muir, William. *The Caliphate: Its Rise, Decline, and Fall*. Edinburgh: John Grant, 1891.

Nagel, Tilman. *Mohammed: Leben und Legende*. Munich: R. Oldenbourg Verlag, 2008.

Najā, Fāṭimah Hudā. *Nūr al-Islām wa Abāṭīl al-Istishrāq*. 1st ed. Tripoli, Lebanon: Dār al-Īmān, 1993.

Nuʿaym, ʿAbd Allāh Muḥammad al-Amīn. *Al-Istishrāq fī al-Sīrah al-Nabawiyyah: Dirāsah Tārīkhiyyah li Ārāʾ Brockelmann wa Wellhausen Muqāranah bi al-Ruʾyah al-Islāmiyyah*. 1st ed. Herndon, VA: International Institute of Islamic Thought, 1997.

Pourshariati, Parvaneh. *Decline and Fall of the Sasanian Empire*. London: I.B. Tauris, 2008.

Powell, Avril A. *Scottish Orientalists and India: The Muir Brothers*. Woodbridge: Boydell Press, 2010.

Robinson, Francis. *Islam and Muslim History in South Asia*. Oxford: Oxford University Press, 2000.

Rodinson, Maxime. *Europe and the Mystique of Islam*. London: I.B. Tauris, 1987.

Saʿīd, Edward. *Al-Istishrāq: Al-Mafāhīm al-Gharbiyyah li al-Sharq*. Translated by Kamāl Abū Dīb. Beirut: Muʾassasat al-Abḥāth al-ʿArabiyyah, 1981.

Saʿīd, Edward. *Al-Istishrāq: Al-Mafāhīm al-Gharbiyyah li al-Sharq*. Translated by Kamāl Abū Dīb. Beirut: Muʾassasat al-Abḥāth al-ʿArabiyyah, 1981.

Scheiner, Jens. "The Conquest of Damascus According to the Oldest Sources." In *The Transmission and Dynamics of the Textual Sources of Islam*. Leiden: Brill, 2011.

Simonsohn, Uriel. *Christians and Others in the Umayyad State*. Austin: University of Texas Press, 2018.

Smend, Rudolf. "Wellhausen School." In *The Oxford Handbook of the Pentateuch*, 143. Oxford: Oxford University Press, 2021.

Sprenger, Aloys. *Life of Mohammad from Original Sources*. 3 vols. London: Smith, Elder & Co., 1851–1861.

Sprenger, Aloys. *Life of Mohammad from Original Sources*. London: Smith, Elder & Co., 1851–1861.

Swain, Simon. *Edward Gibbon: Historian of the Roman Empire*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.

Watt, William Montgomery. *Muhammad at Mecca*. Oxford: Oxford University Press, 1953.

Watt, William Montgomery. *Muhammad: Prophet and Statesman*. Oxford: Oxford University Press, 1961.

Wellhausen, Julius. *Das arabische Reich und sein Sturz*. Berlin: Reimer, 1902.

Wellhausen, Julius. *Prolegomena zur Geschichte Israels*. Berlin: Reimer, 1883.

Zaqzūq, Mahmūd Hamdī. *Al-Istishrāq wa al-Khalfiyyah al-Fikriyyah li al-Ṣirāʿ al-Ḥaḍārī*. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1997, p. 18.

Zaqzūq, Maḥmūd Ḥamdī. *Al-Istishrāq wa al-Khalfiyyah al-Fikriyyah li al-Ṣirāʿ al-Ḥaḍārī*. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1997.